

القافلة

جمادى الأولى ١٤١٣هـ - أكتوبر/نوفمبر ١٩٩٢م

جامع قرطبة الكبير

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

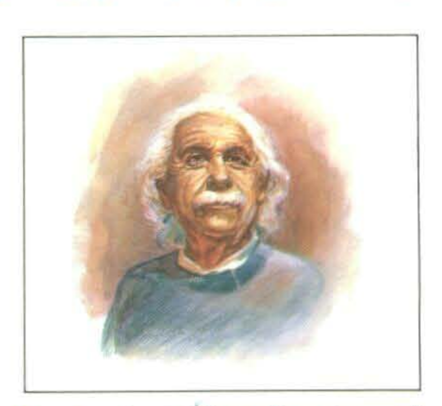
جمادى الأولى ١٤١٣هـ - أكتوبر/نوفمبر ١٩٩٢م
THE CARAVAN - OCT. / NOV. 1992

العدد الخامس - المجلد الواحد والأربعون
توزع مجاناً

مجلة ثقافية تصدر شهرياً عن شركة أرامكو السعودية لموظفيها - إدارة العلاقات العامة



البلدان النامية والتجارة الخارجية ـ ص ٢١



الجسيمات والقوى الأساسية ـ ص ٣٠



الميرامية ـ ص ٣٨

المدير العام : فيصل محمد البسام

المدير المسؤول : إسماعيل إبراهيم نواب

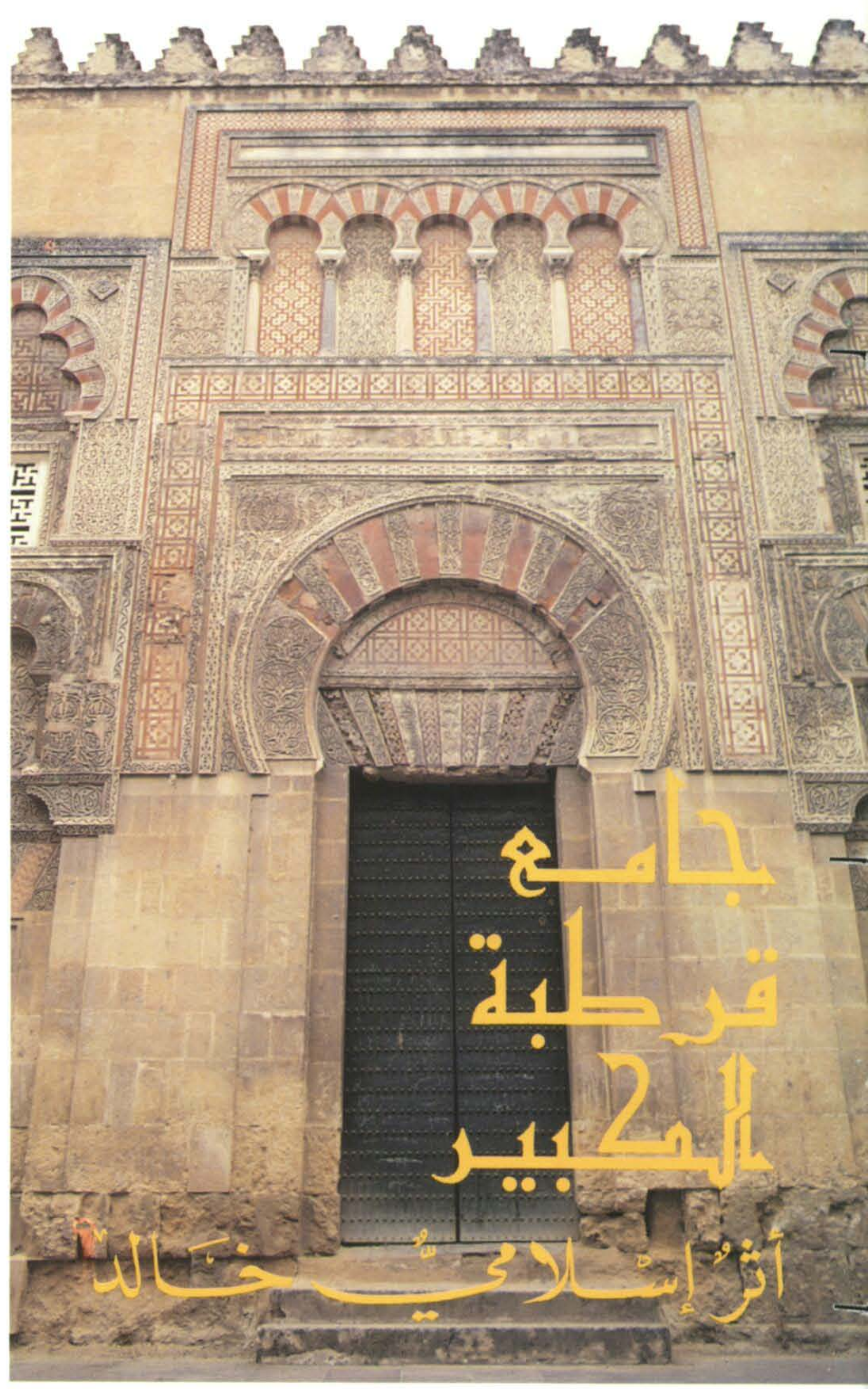
رئيس التحرير : عبد الله خالد الخالد

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٨٧٥٦٣٩٢ - ٨٧٤٠٧٠٦ - فاكس ٨٧٣٨٤٩٠

صممت وطبعت بمطابع الوفاء بالدمام

استطلاع: عبد الله الخالد - رئيس التحرير
تصوير: عبد العزيز العبد اللطيف - أرامكو السعودية

جامع قرطبة الكبير
أثرٌ إسلاميٌّ خالد



احدى بوابات الجامع الثماني عشرة مزينة بالنقوش الاسلامية .

تبدو مدينة قرطبة لزائرها وكأنها محارة تطبق على درة كبيرة من درر الحضارة الاسلامية . فهذه المدينة التاريخية العريقة تقف شاهداً حياً على عظمة المجد الاسلامي ، الذي حكم الأندلس لثمانية قرون من الزمان . وكانت هي عاصمة تلك الدولة التي نقلت قبس الحضارة الى ممالك أوروبا التي كانت ترزح تحت نير الظلم والتعسف في القرون الوسطى .

وقرطبة بماضيها التاريخي المجيد ترقد على ضفتي نهر الوادي الكبير Guadolquivir الذي بدا كسلك ينتظم لآلي العقد الأندلسي الثمين . مدينتها القديمة قلعة حصينة يحيط بها سور ضخم تجري من تحته سواقي المياه بانسياب رائع وكأنها تعزف أنغام موشحة أندلسية . وقنطرتها الرومانية الشهيرة بعقودها الاثني عشر تربط ضفتي النهر وتشكل معلماً بارزا من معالمها . هذه المدينة العريقة يصفها الشاعر أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية بقوله :

بأربع فاقت الأمصار قرطبة
وهنّ قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة
والعلم أكبر شيء وهو رابعها

والزهراء هي ضاحية قرطبة الشهيرة التي بناها الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر وكانت أعجوبة زمانها ، وهي الآن مجموعة أطلال .

عبرنا احدى بوابات السور لنجد أنفسنا نجول في مدينة اختزلت بنا التاريخ ورمتنا في أحضان الماضي . أزقتها الضيقة ما زالت تحمل أسماءها التاريخية العربية « المنصور » و « المظفر » وكأنها تعرض أمامنا بوضوح صورة ذلك الماضي . ونسمع جدرانها تردد نونية ابن زيدون الشهيرة :

أضحى التنائي بديلا عن تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا

لقد شدنا ذلك المنظر التاريخي الرائع لدرجة كبيرة ، فأمضينا ساعات طوالا في التأمل ، وقد اجتهد زميلي المصور في تسجيل

ذلك بعدسته الضوئية ليختصر عليّ عناء الوصف الذي قد تعجز الكلمات عن نقله بأمانة ودقة . فبوابات المنازل المشبكة المزينة بالزجاج المعشق الملون ، وباحات تلك المنازل الداخلية التي زينت بأصناف الأزهار والورود ، كانت تشكل أمام أعيننا لوحات رائعة وكأنها في مهرجان صامت ، أو كأنها جزء من متحف تاريخي للحضارة الأندلسية في أوج ازدهارها . كنا نمر عبر تلك الأزقة ونحن في طريقنا الى « جامع قرطبة الكبير » الذي لم نصله الا والشمس تسحب بقايا أشعتها الحمراء مائلة للغروب . ورغم أن وقت زيارة الجامع قد انتهى منذ وقت ليس بالقصير ، الا أن الأزقة المحيطة به كانت تعج بالحركة الدائبة للسواح الذين ما أن يغادروا ذلك الأثر الاسلامي العتيد حتى يبدأوا بالتبضع من المحلات المحيطة بالجامع والتي تكتظ بالتحف والهدايا التذكارية التي تشتهر بها اسبانيا بشكل عام وقرطبة بشكل خاص .



الأبواب المشبكة من السمات المميزة لمنازل قرطبة القديمة .



الأزقة القديمة ما زالت تحمل أسماءها العربية « المنصور » .

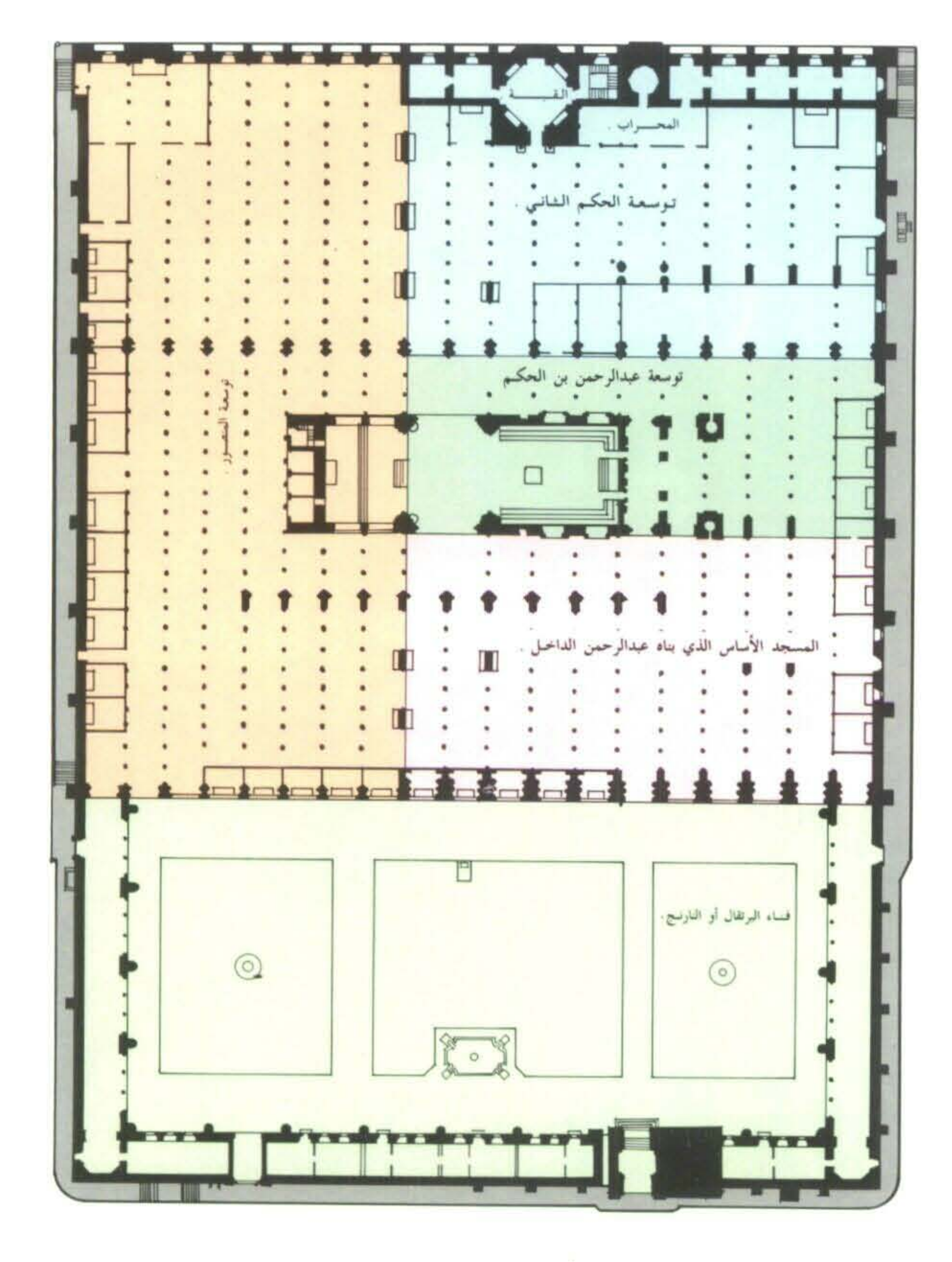
منظر لجانب من مدينة قرطبة تظهر فيه القنطرة الرومانية على نهر الوادي الكبير ، ويبدو في مؤخرة الصورة جامع قرطبة الكبير .

وفي اليوم التالي ، كنا قد عقدنا العزم على زيارة أبرز معلم من معالم هذه المدينة التاريخية العريقة وهو جامعها الكبير ، الذي يعد ـ بحق ـ مفخرة من مفاخر حضارة الاسلام في الأندلس ، وهو معلم يستقطب آلاف السائحين يومياً من مختلف الجنسيات ، يأتون زرافات ووحدانا ليقفوا مذهولين أمام هذا الأثر التاريخي الذي تعجز عن وصفه الكلمات .

جامع قرطبة الكبير

يصفه أحد المؤرخين الغربيين بقوله : « انه اللحظة الأولى للقاء الغرب بالاسلام ، وهو واحد من أعظم الروائع في العالم » . قرأت تلك الكلمات باللغة الانجليزية . وأنا أخطو خطواتي الأولى الى الجامع عبر مدخل صغير خصص لدخول السائحين . تذكرت أن صديقاً لي قد زار المسجد وروى لي كيف أن دمعة ساخنة ذرفتها عينه وهو يجول في أروقة المسجد ، وكنت أظنه يبالغ في ذلك .

ولكن الحادثة تكررت معي وأنا أقرأ تلك العبارات وأقف ذاهلا أمام تلك التحفة العمارية الخالدة ، التي تحوّل الجزء الأوسط منها الى كاتدرائية . كما تحوّلت المنارة الى برج للنواقيس ، بعد أن كانت تقف شامخة تحكي روعة وسماحة الدين الاسلامي الذي أشاع النور في تلك البقاع . فالجامع الآن يسمى « جامع كاتدرائية قرطبة » .



عمارة المسجد

تجمع المصادر التاريخية على أن عمارة المسجد تمت على أربع مراحل بدأت في عام ١٧٠هـ (٧٨٦م) وانتهت بعد عام ٣٧٧هـ (٩٨٧م) .

وقد بدأت المرحلة الأولى في سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م) على يد عبدالرحمن الداخل الأموي . وكان موضع المسجد كنيسة قوطية تسمى « سانت فينسنت » . وأراد عبدالرحمن أن يكون مسجد قرطبة أعظم مساجد الأندلس وأفخمها ، فجلب اليه الأعمدة الفخمة والرخام المموه ، من أربونة ونيمة واشبيلية والقسطنطينية . ولكنه توفي قبل اتمامه . فأتمه ولده هشام وأنشأ منارته الأولى . « وقد شمل هذا البناء أحد عشر رواقا » وزاد فيه عبدالرحمن بن الحكم « عبدالرحمن الثاني » بهوين جديدين من ناحية القبلة ، أي من الناحية الجنوبية المواجهة للنهر (٢١٨هـ ـ ٨٣٣م) . وجدد عبدالرحمن الناصر واجهة الجامع وهدم منارته القديمة ، وأنشأ مكانها منارة أخرى أرفع وأفخم سنة ٣٤٠هـ (٩٥١م) . وكانت منارة الناصر مربعة الواجهات ، لها أربعة عشر شباكاً ذات عقود ، وتحتوي على سلمين أحدهما للصعود والآخر للنزول ، وفي أعلاها ثلاث تفاحات اثنتان من الذهب ، والثالثة « الوسطى » من الفضة ، وكانت اذا أرسلت الشمس أشعتها عليها ، تكاد تخطف الأبصار ببريقها .

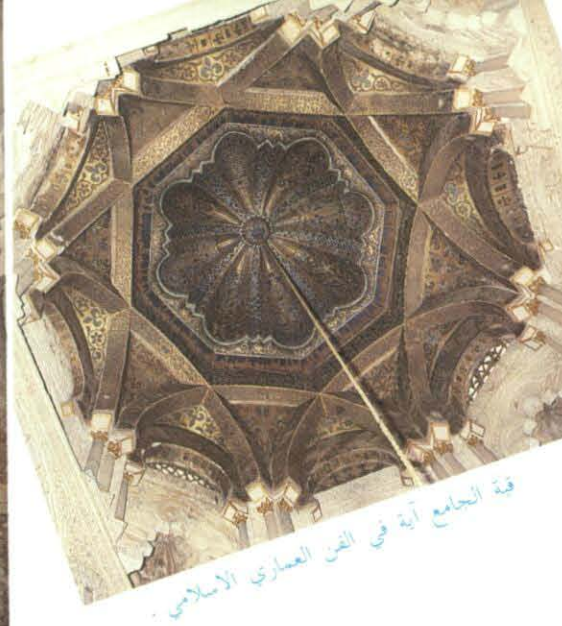
ثم زاد فيه ولده الحكم المستنصر (المرحلة الثالثة) زيادات كبيرة (اثني عشر رواقا) ، وابتنى المحراب الثالث ، واستغرق بناؤه أربعة أعوام ، وعملت له قبة فخمة ، زخرفت بفسيفساء بديعة ، واستقدم الحكم من القسطنطينية خبيراً بأعمال الفسيفساء ، وأرسل اليه القيصر منها قدراً كبيراً .

ثم تمت المرحلة الرابعة من التوسعة على زمن المنصور بن أبي عامر (الحاجب المنصور) (٣٧٧هـ ـ ٩٨٧م) اذا زاد فيه من ناحيته الشرقية زيادة كبيرة ، فأقام بحذاء الجامع القديم ، من شماله الى جنوبه ، على رقعة شاسعة تكاد تعدل مساحته الأصلية ، جناحاً أو جامعاً جديداً ، روعي في انشائه التماثل والمطابقة للصرح القديم ، وبذلك تضاعف حجم الجامع تقريباً ، وبلغ عدد سواريه ما بين صغيرة وكبيرة ألفاً وأربعمائة وسبع عشرة ، وبلغت ثرياته مائتين وثمانين .

ويشغل جامع قرطبة مسطحاً كبيراً يبلغ طوله مائة وثمانين متراً ، وعرضه مائة وخمسة وثلاثين ، وبذا تبلغ مساحته ٢٤٣٠٠ متر مربع ، ويدخل في ذلك صحنه المكشوف الواقع في شماله والذي يعرف اليوم بفناء



يقف السواح مذهولين أمام المحراب وتحت ألقبة .



قبة الجامع آية في الفن العماري الاسلامي .

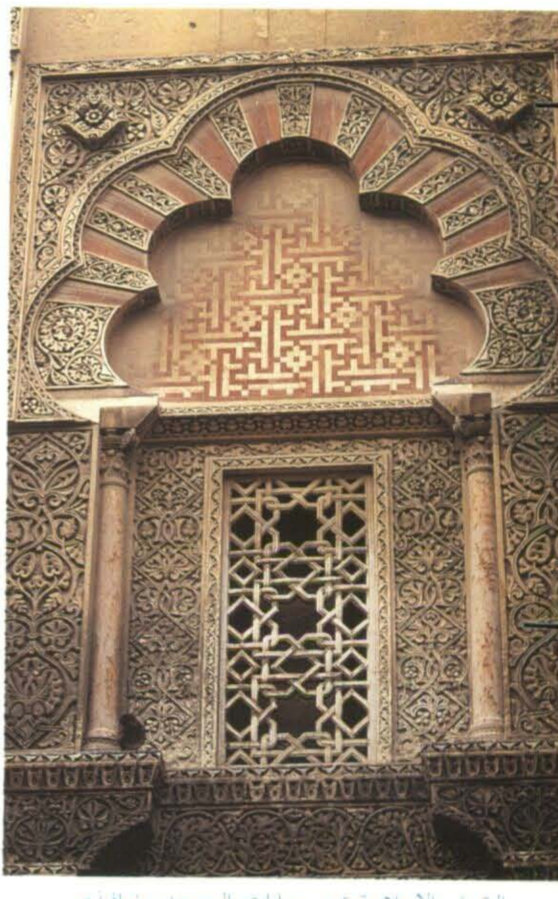


يبدو الجامع من الخارج كقلعة عتيدة .



برج النواقيس تحت الترميم وتبدو الى اليسار أطراف فناء البرتقال .


تبدو أروقة المسجد واسعة فسيحة .


النقوش الاسلامية تزين بوابات المسجد ونوافذه .


عقود الجامع المزدوجة ذات اللونين الأبيض والأحمر .


بوابة أخرى من بوابات المسجد .


تزين الآيات القرآنية وأسماء الله الحسنى محراب الجامع .

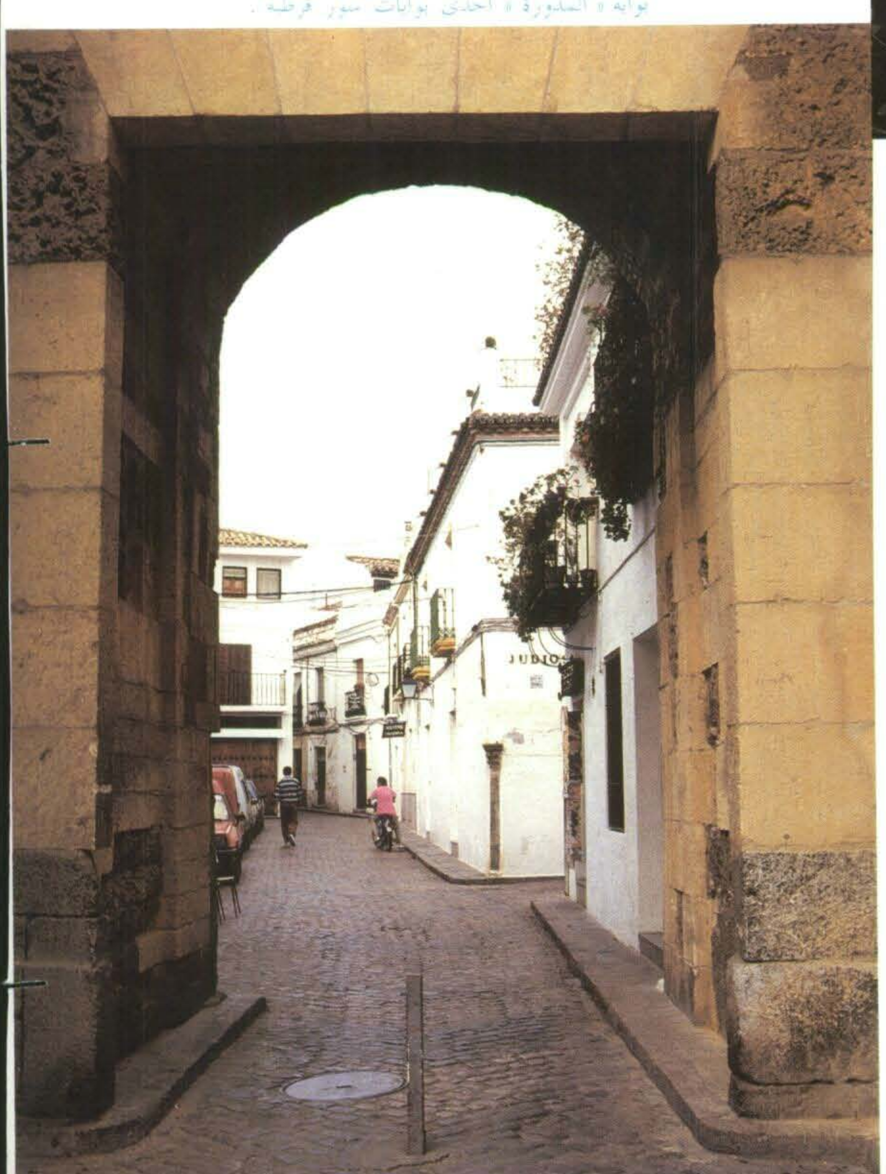


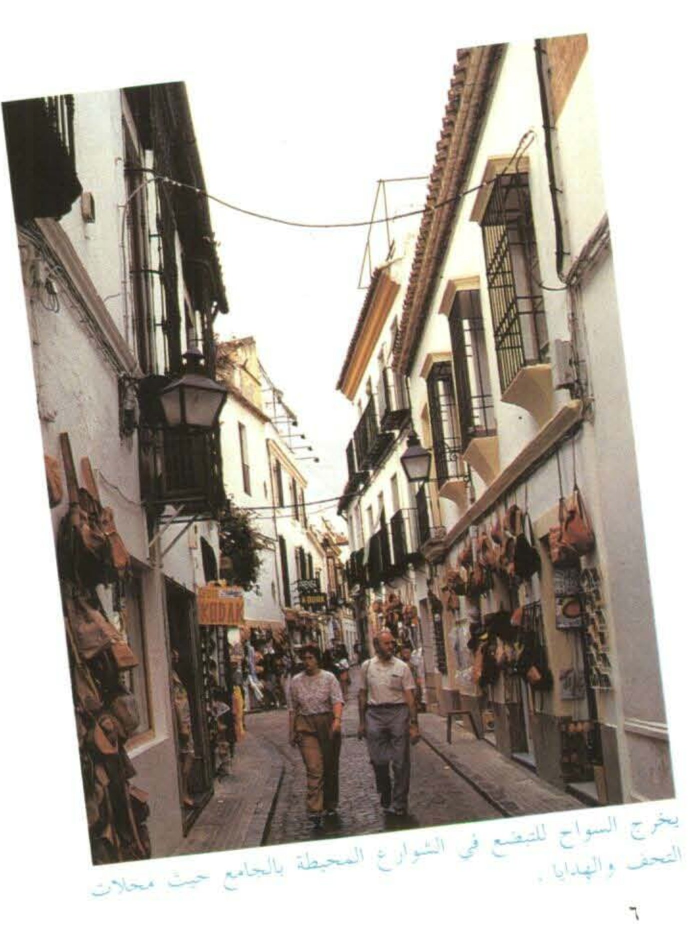
محمد الغافقي أحد أعلام قرطبة نصب تمثال له في أحد الأزقة .



أصبحت العقود نمطاً تقليدياً للبناء في قرطبة .

بوابة « المدورة » احدى بوابات سور قرطبة .





يخرج السواح للتبضع في الشوارع المحيطة بالجامع حيث محلات التحف والهدايا .

النارنج أو البرتقال Patio de los Naranjos[1] . وهذا الفناء هو اليوم كما كان عليه بالأمس ، وجاء وصفه في المصادر التاريخية ، مليء بأشجار النارنج والبرتقال تجول بين أشجاره أسراب الحمام التي ألفت هذا المكان وأصبحت جزءاً من معالمه تستقبل يومياً آلاف السائحين ، تلتقط الطعام من أيديهم وتقف على أكتافهم . والجامع يبدو كقلعة حصينة ذات أسوار عالية ، وتبدو على أبوابه النحاسية الثمانية عشر آثار القدم والاهتراء ، وتجري الحكومة الاسبانية بعض الترميمات عليه وبالذات لبرج النواقيس الذي تمثل المنارة الاسلامية الجزء الأسفل منه .



والجامع اليوم عبارة عن معلم سياحي فقط ، عدا عن استخدامه ككتدرائية تقام فيه الطقوس النصرانية اذ يتوسطه قداس كبير تحيط به الهياكل والصور النصرانية . وفي الجانب الجنوبي الغربي منه المحاذي للمحراب ، تغطي الجدران والأسقف رسوم وهياكل وصلبان .

ورغم كل شيء يظل ذلك الأثر الاسلامي الخالد بروعته وبهائه شاهداً على روعة تلك الحضارة الاسلامية التي قامت على أرض الأندلس ، فعقوده المزدانة باللونين الأحمر والأبيض ، وأعمدته الرخامية الضخمة وأروقته الرحبة الفسيحة ، ومحرابه الذي يجسد أسمى معاني الروعة ودقة الفن والذي تزينه الآيات القرآنية وأسماء الله الحسنى ، وقبته التي تعد تحفة عمارية وفنية فريدة ، كل ذلك يجعل آلاف السائحين يتهافتون عليه يومياً من شتى أصقاع الأرض ليمتعوا أبصارهم بذلك المنظر الرائع ، ويقفوا مذهولين أمام المحراب وتحت القبة يشرح لهم دليلهم السياحي تاريخ هذا البناء وأسماء من قاموا به .

وبذلك يكون جامع قرطبة الكبير سفيراً للاسلام على أرض اسبانيا ، كما كان جامعة للعلم والدين في أوج ازدهار الدولة الأندلسية . يصدق فيه قول ابن عطية :

استودع الله أهل قرطبة
حيث عهدت الحياء والكرما
والجامع الأعظم العتيق ولا
زال مدى الدهر مأمناً حرما

وبعد ، فقد كانت تلك اطلالة من « **القافلة** » على ذلك الصرح الاسلامي العتيد ، ونأمل أن نكون قد وفيناه بعض حقه ، وستتابع في أعداد قادمة ـ باذن الله ـ الحديث عن معلم آخر للحضارة الاسلامية في الأندلس □

تمر تحت « الساباط » في قرطبة وكأنك في مدينة عربية .

---

١ ـ « الآثار الأندلسية الباقية » ، محمد عبدالله عنان ، الصفحات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

الطريق إلى مكة

بقلم: الأستاذ أحمد بهجت - مصر

انتقل الى رحاب الله ، منذ حوالي عام ، واحد من أعظم الشخصيات الاسلامية في عصرنا ، هو الأستاذ العالم محمد أسد .. وهو رجل بدأ حياته صحفياً نمساوياً يهودياً اسمه ليوبولدفايس ، ولكنه قطع طريق المعرفة باختياره حتى اهتدى الى الاسلام فآمن به .

بعد ذلك كتب في الاسلام صفحات تعتبر من أروع ما كتب فيه ، من ناحية الفهم والتعمق والتنوير والصدق . ثم وهب الرجل حياته للدعوة للاسلام .. وصدق .

أسلم الروح في قرطبة باسبانيا عن ٨٦ عاماً من عمره المليء المبارك . وترك لنا محمد أسد مجموعة من الكتب والمحاضرات والدراسات أهمها كتاب « الطريق الى مكة » . وكتاب « الاسلام في مفترق الطرق » .

في بداية حياته عمل مراسلا للصحف الألمانية والأوروبية ، وقضى سنوات يتجول بين أقطار الشرق الأوسط ويتأمل الاسلام والمسلمين ويفكر ، ثم أصبح مسلماً سنة ١٩٢٦م . كان يومئذ في العشرينات من عمره . بعد ذلك عاش ست سنوات في جزيرة العرب ، ونَعِمَ بصداقة الملك عبدالعزيز ، يرحمه الله ، ثم ترك الجزيرة العربية وذهب الى الهند ، حيث التقى هناك الشاعر والفيلسوف الاسلامي محمد اقبال . وكان هذا اللقاء نقطة تحول في مسيرته .

كان برنامجه يقتضي السفر الى تركستان الشرقية والصين ، ولكنه ألغى برنامجه بعد أن أقنعه محمد اقبال أن عليه في الهند مسؤولية تتصل بالحلم الاسلامي وانشاء دولة باكستان المسلمة . كانت باكستان يومئذ مجرد حلم في مخيلة اقبال . وقد نجح في اقناع محمد أسد أن يجند كفاءته لتحقيق هذا الحلم .

وهكذا أوقف محمد أسد نفسه سنين طويلة على هذا المثل الأعلى ، وقام بدراسات كثيرة ، وكتب مقالات طويلة ، وألقى محاضرات عديدة ، حتى اشتهر مع الوقت كترجمان للثقافة الاسلامية والفقه الاسلامي ، وعندما أنشئت باكستان سنة ١٩٤٧م انشغل في دائرة إحياء الاسلام ، وكان عمله هو انتقاء المفاهيم الاسلامية الصحيحة التي يمكن أن تقوم عليها المؤسسة الحديثة للدولة .

بعد عامين من هذا النشاط انتقل الى وزارة الخارجية الباكستانية ، وعمل رئيساً لقسم الشرق الأوسط .. بعد ذلك وجد نفسه بين أعضاء وفد باكستان الى الأمم المتحدة في نيويورك .

هل كان هذا مجرد تكيف لرجل أوروبي مع بيئة عاش فيها سنوات ؟ هذا سؤال يجيب عليه محمد أسد بالنفي .

لقد كان هذا في رأيه ، دليلا على انتقال واع من صميم القلب ، من بيئة ثقافية الى بيئة أخرى تختلف عنها تمام الاختلاف ، لم يعد مجرد تكيف مع البيئة ، كان انخلاعاً من البيئة الأوروبية بكل مغرياتها الى البيئة الاسلامية بكل فضائلها وقيمها .

وقد حير السؤال كثيراً من أصدقائه في الغرب . كانوا يتساءلون بين أنفسهم ، كما كانوا أحياناً يسألونه : كيف يستبدل انسان أوروبي تعاليم وقيم الاسلام بتراثه الثقافي الغربي ؟ وكيف يقبل أفكاراً دينية واجتماعية ، كانت في اعتقادهم المطلق أقل بكثير من جميع المفاهيم والمعتقدات الأوروبية ؟

كان محمد أسد يستمع الى السؤال الذي كان يقال له بصراحة أو بمواربة . وكان يمتليء بالدهشة أن أصدقاءه الأوروبيين لم يكلفوا أنفسهم عناء دراسة الاسلام دراسة واعية مباشرة . كانت آراؤهم تقوم على مجموعة من الشكليات والأفكار المشوهة التي انحدرت اليهم من الأجيال السابقة . إن أسلوب التفكير اليوناني الروماني القديم كان يقسم العالم الى قسمين :

١ ـ الرومانيون واليونانيون من جهة .

٢ ـ البرابرة من جهة أخرى .

هذه الفكرة التي تقسم العالم الى متحضرين وبرابرة ، وتقصر الحضارة على الغرب وتنظر الى بقية العالم كبرابرة ، هي التي تجعل الغربي يرفض القيم الايجابية ما دامت تقع خارج مداره الثقافي الخاص .

ويلاحظ محمد أسد أن المفكرين والمؤرخين الأوروبيين منذ عهود اليونان والرومان ، يميلون الى رؤية تاريخ العالم من وجهة نظر التاريخ الأوروبي والتجارب الثقافية الغربية وحدها . أما الثقافات والمدنيات غير الغربية فلا يعرضون لها الا من حيث تأثيرها على الانسان الغربي . وهكذا فان تاريخ العالم وثقافاته المتعددة لا يعدوان أن يكونا في نظر الغربي ، امتداداً موسعاً للغرب . وطبيعي أن النظر من هذه الزاوية الضيقة لا بد أن يقود الى نتائج خاطئة . أبسط هذه النتائج أن يتصور الأوروبي أن طريقة الحياة الغربية هي النموذج الصحيح الوحيد الذي يمكن أن يتخذ مقياساً للحكم على سائر طرق الحياة .

لذلك فان كل مفهوم ثقافي يتعارض مع النموذج الغربي ، انما ينتمي حتماً الى درجة من الوجود أدنى وأحط ، ومن هنا يعتقد الغربي أن جميع المدنيات الأخرى (غير المدنية الغربية) لم تكن الا تجارب متعثرة في طريق الرقي ، وهو الطريق الذي قطعه الغرب بكثير من السداد والعصمة من الخطأ .

هذه الفكرة الغربية السائدة ـ الا من بعض الاستثناءات ـ هي التي تحول بين تقبل الغربيين للثقافة الاسلامية . ان الغربي يعتقد أن هناك كتاباً واحداً وقصة واحدة عن الرقي الانساني ، هو كتاب وقصة الحضارة الغربية .

أما محمد أسد ، فقد رأى أنه ليس هناك كتاب واحد وقصة واحدة عن الرقي الانساني ، الأصح أن يقال أن هناك كتباً عديدة ، وقصصاً عديدة . آخر فصول هذه الكتب ، وليس أفضلها بالضرورة ، هو الحضارة الغربية .

اصطدم محمد أسد ـ وهو واحد من أبناء الحضارة الغربية ـ بهذا التعصب الذي يلون نظرة الغربي بشكل عام ضد الحضارة الاسلامية . وقد عكف على تأمل هذا التعصب ، فاكتشف أن تفكير الغربيين وشعورهم نحو الاسلام ينبعان من انفعالات وتأثيرات ولدت إبان الحروب الصليبية .

إن هذه الحروب ، رغم ما يقرب من ألف سنة عليها ، ما زالت تلون نظرة الغربي حين ينظر الى الاسلام . بهذا الفهم العميق ، وبعقل متحرر من التعصب والانحياز ، مضى محمد أسد في رحلاته في الشرق المسلم . كان صاحب قلب ذكي . كان يعرف أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . وكان قادراً بقلبه هذا الذكي أن يستمع الى نبض الحقيقة وأن يميز كلماتها الصامتة المطمئنة .

كان يقطع الصحراء حين دخل قرية من قراها ، وجلس مع شيخ القرية يأكل التمر الذي قدمه له الشيخ ويستمع الى أحواله . تحدث شيخ القرية عن الريح ، قال : الريح .. الريح .. إنها تجعل حياتنا قاسية ، ولكنها ارادة الله . إن الريح تهلك نخيلنا ، وعلينا دائماً أن نناضل حتى لا تغطيه الرمال . لم تكن هذه حالنا دائماً ، قديماً لم تكن الريح بهذه القوة ، كانت القرية كبيرة وغنية ، أما الآن فقد صغرت ، ان كثيراً من شبابنا يهجروننا ، والرمال تتقدم منا وتطبق علينا ، ولكننا لا نشكو ، فكما تعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام ، أخبرنا أن الله يقول ما معناه : لا تسبوا الدهر .. لأني أنا الدهر . يحدثنا محمد أسد (ولم يكن قد أسلم بعد) عن وقع هذا الكلام على نفسه يقول محمد أسد : كان يظهر على الشيخ هذا الرضى الفخور الصامت بمكانه في الحياة ، ولم أر قط في حياتي ، حتى لدى السعداء من الناس ، انصياعاً للحقيقة معبراً عنه بمثل هذا القدر من الهدوء والاطمئنان .. وكان بدورة عريضة غامضة من ذراعه ، يشير لدائرة في الهواء ،

دائرة تضم كل شيء ينتمي لهذه الحياة . الغرفة الفقيرة الكريمة ، والريح وزمجرتها المستمرة ، تقدم الرمال تقدماً لا يرحم ، الحنين الى السعادة ، والتسليم بما لا يمكن تبديله ، القصعة الممتلئة بالتمر .. والنار في الموقد ، وضحكة طفلة في مكان ما في الدار ، في كل هذه الأشياء خيل الي أنني أسمع غناء روح قوية لا تعرف حدوداً ولا حواجز . روح مطمئنة الى نفسها . هذه الروح المسلمة لم أرها في الغرب حتى عند السعداء من الناس .

في احدى رحلاته قبل اسلامه كان في القدس ، وكان يراقب المسلمين حين يصطفون للصلاة . كانوا يقفون جميعاً في صف وراء الامام ، ثم ينحنون جميعاً في اتجاه مكة ، ثم ينهضون ثانية ثم يسجدون حتى تلمس جباههم الأرض . كانوا يتبعون كلمات إمامهم الخافتة ، وكان يقف بين الركوع والسجود حافي القدمين على سجادته المعدة للصلاة ، مغمض العينين ، مكتوف الذراعين فوق صدره ، محركاً شفتيه دون صوت ، ومركزاً في استغراق عميق .

يقول محمد أسد : « لقد كان في استطاعتك أن ترى أنه كان يصلي بروحه كلها . وقد أزعجني في البداية أن أرى مثل هذه الصلاة العميقة مقرونة بحركات جسمانية آلية . فسألت الشيخ ذات يوم ، وكان يفهم الانجليزية قليلا . هل تعتقد أن الله ينتظر منك أن تظهر له احترامك بتكرار الركوع والسجود . ألا يكون من الأفضل للمرء أن يخلو بنفسه ويصلي لله في قلبه . لماذا حركات الجسم هذه كلها ؟ » لم يكن يريد ولا كان يقصد جرح مشاعر الشيخ ، ولكنه فوجىء أن الشيخ يبتسم ويقوله له : « بأي طريقة أخرى _ اذن _ يجب أن نعبد الله ، لو أن الله خلقنا بأرواحنا وحدها لصلينا بأرواحنا وحدها ، ولكنه خلقنا بأجسامنا وأرواحنا ولهذا نصلي بأرواحنا وأجسامنا .

سأقول لك لماذا نصلي نحن المسلمين كما نصلي . إننا نولي وجوهنا نحو الكعبة ، بيت الله الحرام في مكة ، مدركين أن المسلمين جميعاً يتجهون نفس الاتجاه ، نحن جسم واحد ، والله هو محور تفكيرنا جميعاً .. بعد أن نفتتح الصلاة نقرأ شيئاً من القرآن الكريم ، ذاكرين أنه كلمة الله أنزلها على الانسان ليكون مستقيماً رضياً في الحياة ، ثم نقول الله أكبر .. لنذكر أنفسنا أنه ما من أحد يستحق أن يعبد سواه ، ونركع لأننا نعتبره فوق كل شيء ، وفي الركوع نسبّح بعزته ومجده ، بعد ذلك نسجد على جباهنا لشعورنا أمام الله أننا قبضة من التراب والعدم ، وأنه هو الذي خلقنا وهو ربنا الأعلى ، ثم نرفع وجوهنا عن الأرض ونبقى جالسين ، داعين الله أن يغفر ذنوبنا وأن يتغمدنا برحمته ويهدينا الصراط المستقيم ويهبنا العافية والرزق ، ثم نسجد ، بعد ذلك نستوي جالسين وندعو الله أن يصلي على النبي الذي أبلغنا رسالته ، كما صلى على الأنبياء من قبله . وأن يباركنا أيضاً وجميع من يبتغون سواء السبيل ، ثم نسأله أن يهب لنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وفي النهاية ندير رؤوسنا الى اليمين والى الشمال قائلين : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبذلك نحيي الصالحين أينما كانوا وحيثما كانوا . هكذا كان النبي يصلي ، وهكذا علم أتباعه الصلاة .. ان المسلم يسلم نفسه في الصلاة طائعاً مختاراً ويطمئن الى مصيره » .

يقول محمد أسد في مذكراته تعليقاً على ما قاله الشيخ : أدركت بعد ذلك بسنوات أن هذا التفسير البسيط قد فتح لي أول باب للدخول في دين الاسلام . إن جوهر الاسلام هو الطمأنينة لله ، وللمصير الانساني معاً .

زار محمد أسد القاهرة أيضاً سنة ١٩٢٣م ، أي قبل اسلامه بسنوات قليلة ، واستمع الى أذان الصلاة الذي كان يرفع من المآذن خمس مرات في اليوم . ورأى في الأذان وحدة صوتية جعلته يدرك مقدار الوحدة الروحية لدى جميع المسلمين ، كما أدرك عمقها أيضاً . لقد كانوا واحداً في اعتقادهم وواحداً في طريقة تفكيرهم وتمييزهم بين الحق والباطل . وواحداً في فهمهم حقيقة الحياة الخيرة الطيبة .

ولقد خيل اليه في القاهرة أنه قد صادف لأول مرة مجتمعاً لا تنبع فيه صلة الانسان بالانسان من المصالح الاقتصادية أو العنصرية ، وانما تنبع من شيء أكثر استقراراً وأعمق . هذا الشيء هو الفهم المشترك للحياة .. وهو فهم أزال كل حواجز العزلة والانفراد بين الانسان والانسان .

لقد استطاع محمد أسد أن يلحظ الاستقرار الروحي في حياة المسلمين كما نجح أن يستشعر أمنهم الروحي ، وقاده هذا الى ادراك تميزهم ورقيهم . لاحظ هذا كله من رحلاته التي كانت في نهاية الأمر جهاداً لمعرفة الحقيقة .

ولما كان الله يكافىء الذين يجاهدون في سبيله ، فقد كافأ محمد أسد بهدايته الى الاسلام . وهكذا دخل الرجل في الدين الجديد ، ولم يلبث أن صار بمشيئة الله وحده نجماً من ألمع نجومه □

قمر السنابل

شعر: محمد عزت الطيري - مصر

يا أيها المجدول من قمر السنابل
يا أيها المزروع في حقل القنابل
يا أيها المطر الفجائي الجميل
على ثرى أرض الأوائل
اضرب وقاتل
واصنع صباحك من ظلام القهر
واصنع تاج أفراح المقاتل
واصنع نشيد النصر
من أنغام تكسير السلاسل
اصمد وناضل
الأرض أرضك، لا تهادن،
أو تساوم أو تبادل
الأرض أرضك، أنت سيدها
وفارسها وحارسها المناضل
لا وقت للأحزان، أو لمواسم الذكرى،
وأحلام القبائل

اهتف وثابر
الله أكبر رغم كيد المعتدين،
ورغم آلاف المجازر
الحق يعلو، ثم تهوي رأس هذا الكفر،
تسحق تحت أقدام البنادق
الحق يعلو، ثم ترتفع البيارق
الحق يعلو،
لا رجوع ولا نكوص،
برغم تدبير العوائق
اصبر وسابق ..
لا خير فينا إن أخافتنا المشانق والحرائق
الخير في طعم الجهاد
الخير في لون الجهاد
الخير في نصر البلاد
قاتل ولا تخف المنون
لا لن ينال الخير إلا المؤمنون
لا لن يذوق النصر إلا الصامدون

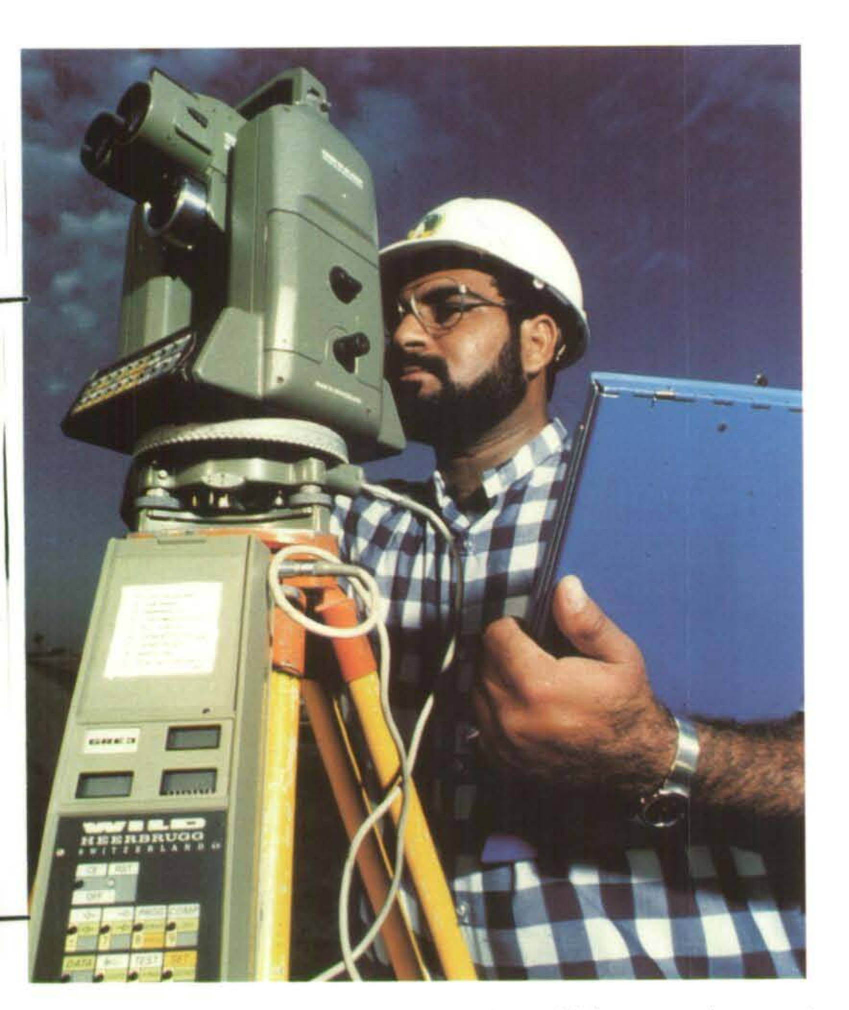
أضـــواء عَلى

التقرير السنوي عن منع الخسائر في أرامكو السعودية لعام ١٩٩١م

صدر مؤخرا التقرير السنوي لادارة منع الخسائر في ارامكو السعودية لعام ١٩٩١م . ويبدو من خلال الاحصاءات المتوفرة في هذا التقرير ان ارامكو السعودية سجلت تحسنا كبيرا في مجالات السلامة خلال العقد الاخير . وجاء ذلك نتيجة طبيعية للجهود التي بذلها موظفو الشركة من خلال اتباعهم لاصول السلامة وما وفرته الشركة من فرص اتاحت من خلالها للموظفين التدريب والاطلاع على اصول السلامة . وقد تضمن التقرير بعض الحقائق نورد منها ما يلي :

لقد كان عام ١٩٩١م ، بالنسبة للمملكة العربية السعودية ، مليئا بالصعوبات ، ولكن المملكة استطاعت ـ بفضل الله ـ ان تواجه هذه الصعوبات وتتغلب عليها . وعلى الرغم من ان دور المملكة في صناعة الزيت العالمية يعد دورا بارزا بكل المقاييس ، الا ان هذا الدور كان صعبا بشكل خاص ، اثناء حرب الخليج . وكان لارامكو السعودية اسهامات طيبة تجلت في مواصلة الانتاج خلال فترة الازمة ، والتوسع المستمر طوال العام . وقد تطلب تحقيق ذلك التركيز على شئون السلامة بشكل متجدد وبصورة غير عادية . وفي مختلف مواقع العمل بالشركة : من اجهزة الحفر الى المعامل ، ومن الفرض الى مواقع انشاء السكن ، وقد استمر موظفو الشركة ـ على اختلاف جنسياتهم ـ في تطوير قدراتهم ونظرياتهم الى السلامة وفي تعلم الاجراءات المناسبة التي تكفل المحافظة على سجل السلامة المشرف الذي حققته ارامكو السعودية على مر السنين ، والذي حافظت عليه بشكل خاص في عام ١٩٩١م .

ويتحدث التقرير عن انخفاض الاصابات الصناعية المقعدة في الشركة خلال العقد الاخير . ففي عام ١٩٨١م كان معدل الاصابات الصناعية المقعدة لدى ارامكو السعودية ٠,٤٢ وهذا المعدل اقل بكثير من المعدل العام للاصابات الصناعية المقعدة في صناعة



الزيت في الولايات المتحدة ، الذي بلغ ١,٣٢ ، خلال العام نفسه . ومع نهاية عام ١٩٩١م انخفض معدل الاصابات الصناعية في الشركة الى ٠,٢٧ وهو معدل يزيد قليلا على معدل عامي ١٩٨٩م و ١٩٩٠م الذي بلغ ٠,٢٦ والذي كان اقل معدل سجلته الشركة على الاطلاق .

وقد اشادت صناعة البترول بسجل السلامة لدى الشركة ، فمنذ ان شاركت ارامكو السعودية ، اعتبارا من عام ١٩٨٤م ، في المسابقة السنوية لجائزة السلامة التي تشرف عليها جمعية مصنعي الغاز ، فازت معامل الغاز التابعة للشركة بجائزة المركز الاول أربع مرات ، كانت اخرها في عام ١٩٩١م .

ويشير التقرير الى اهمية البرامج المتعلقة بالسلامة والتدريب على التقيد باصولها . حيث يلقي الضوء على بعض تلك البرامج . فقد تلقى ١٠٢٤٣ موظفا من موظفي الشركة والمقاولين دورات تدريب على اعمال السلامة ، شملت موضوعات تراوحت بين اذون العمل ومتطلبات اختبار الغاز وبين التدريب الاداري لمنع الخسائر . كما نظمت الشركة اربع دورات خاصة عن السلامة هي : « التحكم الكامل في الحوادث » و « الاستجابة للحالات الطارئة » و « التخطيط للكوارث الطارئة » و « التعريف بصناعة الزيت » و « معاينات السلامة » . وعقدت دورات التوجيه الخاص باصول السلامة للمتدرجين في مراكز التدريب الصناعي التابعة للشركة ، وذلك في كل فصل دراسي خلال العام . وبعد ان فقدت الشركة عددا من موظفيها الشباب في حوادث سيارات ، زادت مدة برنامج التوجيه الخاص بالسلامة ، من يوم واحد الى ثلاثة ايام . بحيث يشمل تعليمهم أصول السياقة المأمونة .

ويتم دعم برامج واجراءات السلامة المتبعة في الشركة ، مثل نظام اذون العمل ، عن طريق المراقبة والمعاينة المنتظمتين لجميع ادارات الشركة . فبالاضافة الى اكثر من ٢٦٠٠ معاينة تمت خلال العام ، نظم اعضاء الادارة التنفيذية سبع زيارات تفقدية لمناطق الاعمال بالشركة . وتوفر هذه الزيارات الفرصة لادارة الشركة لتقويم اداء السلامة في مناطق الاعمال المختلفة ، وتحديد الامور التي تحتاج الى الاهتمام ، واتخاذ اجراءات العلاج والتصحيح الملائمة .

ويذكر التقرير انه قد تم اجراء ١١ مراجعة في ادارات مختارة وذلك لتقويم برامج منع الخسائر فيها . والتحقيق من مدى تطبيق هذه الادارات لتوصيات السلامة التي قدمت لها من قبل . وتساعد هذه الزيارات التفقدية في التأكد من تطبيق اجراءات السلامة الصناعية بما يتفق مع متطلبات السلامة في الشركة .

كذلك تضمن التقرير بيانا عن الاصابات خارج العمل ، وقد كانت الاصابات المقعدة خارج العمل ٠,٦ في عام ١٩٩١م . ومع ان هذا المعدل اعلى من معدل عام ١٩٩٠م الذي كان قد بلغ ٠,٥٣ ، الا انه خلال العقد الاخير حدث إنخفاض بوجه عام في عدد الاصابات المقعدة خارج العمل .



وقد كانت حوادث السيارات مسؤولة عن ٣٠٪ من الاصابات خارج العمل . وهذا الرقم اعلى بكثير من نسبة المصابين في حوادث النقل اثناء العمل التي بلغت ٩٪ ويعود سبب هذا الاختلاف الكبير الى ان استعمال احزمة السلامة يكون اجباريا لجميع ركاب سيارات الشركة . وتمثل حوادث السقوط والانزلاق ، وردود الفعل البدنية ٤٩٪ من الاصابات خارج العمل و٥٠٪ من الاصابات اثناء العمل . ومن الواضح ان نسبة هذا النوع من الاصابات تكاد تكون واحدة سواء اثناء العمل ام خارجه .

وتناول التقرير كذلك موضوعا مهما وهو الاخطار التي يتعرض لها الموظفون على الطرق ووصفها بانها مشكلة مستمرة . حيث جاء في التقرير « ما تزال حوادث السيارات مصدر قلق شديد للشركة . وتعد حوادث النقل التي تتضمن حوادث السيارات الخاصة للموظفين اكبر مسبب للخسائر الى حد كبير ؛ ففي عام ١٩٩١م توفي ٣٢ موظفا نتيجة حوادث سيارات خارج العمل ، وتوفي ثلاثة في حوادث مماثلة أثناء العمل » .

لقد كان هناك انخفاض مستمر في معدل حوادث السيارات اثناء العمل خلال العقد الاخير ، ففي عام ١٩٨٢م كان معدل تكرار حوادث السيارات ٥,١ ، ولكن مع حلول عام ١٩٩١م انخفض هذا المعدل الى ١,٨ . ويمثل ذلك زيادة طفيفة على معدل عام ١٩٩٠م الذي بلغ ١,٧ ، والذي كان ادنى معدل سجلته الشركة منذ انشائها » .

إن أغلب الحوادث ينتج عن خطأ انساني او اهمال . ونظرا لان نسبة كبيرة من الموظفين الذين اصيبوا في حوادث سيارات كانوا من صغار السن ، فإن هذه الحقيقة ساعدت على تحديد الهدف الاول للسلامة . وكنتيجة لذلك فإن الشركة قامت خلال العام بتكثيف برنامج التدريب على السياقة الذي يعطى للمتدرجين . وكان التركيز في نشرات السلامة على السائقين الشباب . وكانت المعلومات عن



السياقة المأمونة هي الموضوع الرئيس في المقالات والملصقات واشرطة الفيديو ، مثل « حزام السلامة » و « مخاطر الحيوانات الضالة على الطريق » .

كذلك تناول التقرير موضوع منع خسائر الحريق لأن الحرائق تسبب خسائر مالية ، وتؤدي الى توقف الاعمال ، وحدوث اصابات شديدة ربما تكون مميتة . والحرائق من الامور التي تنال قدرا كبيرا من اهتمام الشركة حيث تلتزم ارامكو السعودية بالعمل باستمرار لمنع الحرائق والاضرار والاصابات التي قد تسببها .

وخلال عام ١٩٩١م ، شب ١٨ حريقا صناعيا و ٢١ حريقا غير صناعي . ومع ان مجموع الخسائر التي سببتها الحرائق عام ١٩٩١م كان اقل من ٢,٢ مليون دولار ، الا انه كان من المحزن حقا وفاة اثنين من الموظفين بسبب حريق صناعي شب في خط انابيب .

وفي محاولة من الشركة لمنع تكرار حدوث الحرائق والاصابات والاضرار التي تسببها ، تواصل الشركة تركيزها على المراجعات الفنية للمشاريع الجديدة ، وادخال تعديلات على المرافق القائمة . ويظل الالتزام بالمقاييس الهندسية لارامكو السعودية ، وبسلامة اجراءات الاعمال والصيانة ، جزءا جوهريا من هذه المراجعات .

وتوفر الشركة كذلك معدات مكافحة الحريق وتقوم بصيانتها ، وتدريب الموظفين على استعمالها ، كما تقوم بمعاينة واختبار نظم الوقاية من الحريق . وتجري الشركة تمرينات لاطفاء الحرائق في جميع المرافق الرئيسة بشكل دوري . وخلال عام ١٩٩١م تلقى اكثر من ٨٠٠٠ موظف تدريبا على كيفية استعمال مطفئات الحريق ، باعتبار ان ذلك يمثل « الاستجابة الاولى » لمكافحة الحريق .

وأخيرا تطرق التقرير الى الاحتفاء بالانجازات « ان الاحتفال بتكريم الافراد على انجازاتهم في مجال السلامة يعد أمرا حسنا وإيجابيا بالشركة ويحفز الآخرين على الالتزام بأصول السلامة في المستقبل » .

وقد كرمت ارامكو السعودية خلال عام ١٩٩١م عشر ادارات لادائها المتميز في ميدان السلامة . كما قامت بتقديم شهادات الى ١٢٨ موظفا اكمل كل منهم ٤٠ عاما من الخدمة في الشركة دون حوادث ، اي ما مجموعه ٥١٢٠ سنة عمل دون حوادث □

البحار والتلوّث النّووي

إعداد : الأستاذ صفوان ريحاوي - سورية

على مدى السنوات الاخيرة بدأ الاهتمام بمشاكل التلوث على النطاق العالمي يتعاظم ويتنامى ، خاصة بعد ان تبين بما لايقبل الشك ان النشاطات الانسانية هي التي اخلت بالظروف البيئية الى حد اضحى معه مستقبل البقاء على الارض مهددا بالخطر . وتردّي احوال البيئة الى ما هي عليه الآن لم يكن وليد الصدفة ، فمنذ بداية هذا القرن على وجه الخصوص تسارعت خطى التطور والتقدم بشكل لم يسبق له مثيل ، وتوالت الانجازات في مختلف المجالات بسرعة هائلة ، بحيث لم تترك فرصة لاحد للتوقف هنيهات يتم من خلالها استيعاب ما يجري ، وتدبر ما سينجم عن ذلك من نتائج وعواقب . والى جانب هذا اتسمت المراحل الاخيرة من تطور المجتمعات الانسانية بسمتين رئيستين هما : الاندفاع الكبير نحو الاستهلاك الذي تجاوز حدود المعقول ، والانطلاق السريع لزيادة الانتاج بكافة صوره واشكاله بغض النظر عن الآثار البيئية المترتبة عليه .

الوجيز في تاريخ تلوّث الأرض

هكذا ومع انطلاقة الثورة الصناعية في منتصف القرن الماضي ، اندفعت البشرية تحرق كميات متزايدة باطراد من المواد الكربونية (الفحم وبعده النفط) فكانت النتيجة ظهور « اثر المستنبت الزجاجي » ، الذي بدأ يهدد بتسخين كوكب الارض ورفع درجة حرارته ، واذا استمر الامر على المنوال ذاته فانه سيقود مع مرور الزمن الى وقوع كارثة مناخية مخيفة ، خاصة وان الدلائل الاولى على هذا الانقلاب الكيميائي - الحراري بدأت تلوح في الافق .

من ناحية ثانية ، انتشر استخدام الكلوروفلوركربون على نطاق واسع في شتى المجالات الصناعية ، وبشكل خاص في منظومات التكييف والتبريد التي تشكل ركنا اساسيا من اركان المدينة الحديثة ، فكانت العاقبة انحسار طبقة الاوزون وانثقابها فوق قطبي الارض ، الجنوبي اولا ثم الشمالي حديثا ، وبذلك تخلخل الدرع الواقي الذي كان يحمي الكرة الارضية من التأثيرات الضارة للاشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس . واذا لم تتخذ اجراءات حاسمة في هذا المجال ، فمن المتوقع نتيجة لذلك ان تتزايد نسب الاصابات بسرطان الجلد والاورام الخبيثة ، بل وقد يصل الامر الى انكفاء الدفاعات المناعية في اجسام الكائنات الحية ، مما سيجعلها عرضة لتبدلات وراثية شاذة .

من جهة ثالثة ، ولتلبية المتطلبات الاستهلاكية المتزايدة للانفجار السكاني المخيف ، اخذت الارض تستقبل سنويا مئات آلاف الاطنان من الاسمدة التركيبية تلقى هنا وهناك دون ضابط او رقيب لتلوث كل ما يحيط بها ، كما اضيفت اليها آلاف الاطنان من ادوية النباتات ومبيدات الحشرات تنثر في كل مكان ، ناهيك عن شلالات هادرة من الفضلات الصلبة والنفايات الكيماوية السامة وغير ذلك من الملوثات .

ثم بدا وكأن هذا كله لم يكن كافيا ، فجاءت النفايات النووية لتكمل الحلقة ولتضع بصمتها المميزة في ملف التلوث ، خاصة بعد ان وصل حجمها العالمي الى حوالي ٢١٥ الف متر مكعب . ان القسم الاعظم من هذه النفايات ذو نشاط اشعاعي ضعيف او متوسط ، ينطلق من عناصر مشعة قصيرة العمل ، لذا فانها تحفظ ضمن كتل بيتونية بهدف تخزينها مدة لا تقل عن ٣٠٠ عام .

اما النفايات المشعة طويلة الأجل فيجري - بالاضافة لما سبق - دفنها عميقا في باطن الارض بانتظار تفككها مع مرور الزمن ، والطريقة ذاتها تتبع بالنسبة للنفايات شديدة الاشعاع سوى ان هذه تحفظ داخل قشرة من الزجاج . ومن المتوقع بعد مرور عشر سنوات ، ان يبلغ الحجم الاجمالي للنفايات المشعة الموجودة في باطن الارض من النوعين الأخيرين (طويل الأجل وشديد الاشعاع) حوالي ٣٣٨ الف متر مكعب للاول و ٢٢٥٠٠متر مكعب للثاني .

ان العناصر الاكثر ثباتا في هذه النفايات سوف تبقى خطرة لمدة ٢٠٠ الف سنة قادمة ، ولذلك فالمشكلة هي الى اي حد يمكن للمدافن النووية هذه ان تصمد أمام التقلبات الجيولوجية ، وانزلاقات القشرة الارضية التي لا بد وان تحدث خلال الفي قرن من الزمن القادم ؟

ماذا حدث للبحار؟

كان هذا غيض من فيض مما لحق باليابسة والغلاف الجوي من اضرار ، اما ما حدث للبحار والمحيطات فشأنه ادهى وأمر ، ذلك انها اعتبرت منذ البداية ملكا مشاعا وهاوية بلا قرار ، قادرة على احتواء وابتلاع كل شيء دون ان تضطرب او تتأثر . ومن هذا المنطلق تعرضت البحار والمحيطات خلال عقود السنوات الاخيرة الى تلويث شديد ، حيث حولت اليها مياه المجاري ، والقيت فيها جميع انواع النفايات ، وحملت اليها الانهار كل اشكال الملوثات ، حتى اصبح الوسط المائي على رحبه واتساعه اشبه بوعاء للقمامة ، واضحت سواحله وشطآنه مبعثا للكآبة ومدعاة للرثاء .

غير ان لتلوث البحار والمحيطات من ناحية اخرى شأن عجيب ، لان اسلوب طرحه على بساط البحث تم بشكل سطحي تماما - بالمعنيين الحرفي والمجازي لهذه



الخارطة الشاملة للتلوث النووي .

الكلمة ـ وذلك رغم تعقيداته واخطاره . فالانظار كلها تركزت على ما يجري فوق صفحة المياه دون النفاذ الى ما يحدث في الاعماق ، وبالتالي انصب جل الاهتمام على معالجة ما وقعت عليه واهمل امر الباقي ، مع العلم انه اشد ضررا وأسوأ تأثيرا . ولكي لا يقال ان ما ذكر هو مجرد نظرة ضيقة للامور لا مبرر لها ، واتهام ظالم لا يستند الى دليل ، لا يكفي هنا ان نعرض لبعض جوانب هذه المسألة .

وحيد في قفص الاتهام

ان الانطباع الذي ساد الرأي العام العالمي لفترة طويلة عن مشكلة تلوث البحار والمحيطات ، كان مرتبطا بشكل اساسي مع النفط . وعندما كان الحديث في السبعينات يدور حول هذه المسألة ، كان النفط هو اول ما يتبادر الى ذهن ، حتى اضحت كلمتا « التلوث » و « النفط » آنذاك وكأنهما مترادفتان تقريبا ، ففي كل مرة تغرق فيه ناقلة او تجنح او يتسرب منها النفط لسبب ما ، كانت الاصوات ترتفع محذرة منذرة بأن ما جرى هو أسوأ كارثة يمكن ان تصيب البيئة البحرية .

هكذا كان الوضع على سبيل المثال لا الحصر مع الناقلة « آمولوكاديز » التي جنحت عام ١٩٧٨م تجاه الشواطىء الفرنسية ، وبذات الشكل تقريبا تكررت الحادثة من جديد مع الناقلة « ايكسون فالديز » عام ١٩٨٩م على سواحل الاسكا .

وضمن هذا الواقع وجدت البشرية نفسها امام معضلة محيرة ، فالتطور الصناعي المتسارع من ناحية يحتاج الى كميات متزايدة من النفط ، مما يتطلب زيادة حجم النفط المنقول عبر البحار ، لكن هذا من ناحية اخرى سوف يؤدي بالضرورة الى تنامي احتمالات وقوع الحوادث ، مع ما تحمله هذه من مآس وكوارث .

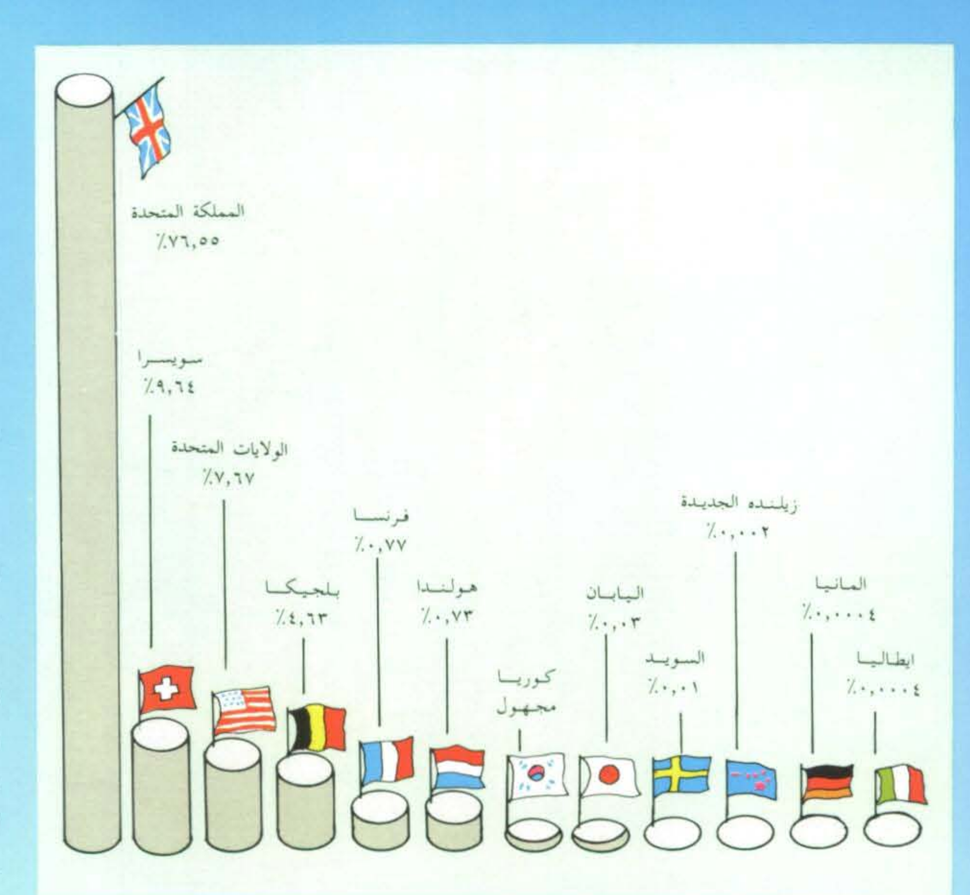
لهذا السبب كان الرأي العام يهلل لكل نجاح جديد يتحقق في مجال تأمين سلامة الناقلات ومكافحة التسربات النفطية ومعالجة البقع الناجمة عنها ، معتبرا ان مسألة التلوث برمتها بدأت تسير باتجاه الحل ، وان البحار والمحيطات ستستعيد عافيتها ، وتحافظ على صحتها بمجرد القضاء على تلك الظاهرة المؤذية . ومما لا شك فيه ان لهذا الاعتقاد ما يبرره ، من حيث ان حماية الوسط المائي من التأثيرات الضارة للنفط تعتبر امرا حيويا ، وخطوة متقدمة على طريق المحافظة على البيئة ، لكنها لسوء الحظ ليست الا حلا جزئيا وعلاجا مسكنا الى حين ، ذلك ان ما خفي كان اعظم !

الوجه الآخر للمأساة

ان نظرة متأنية تلقى على البحار والمحيطات تظهر بكل وضوح ان النفط ليس هو الرحالة الوحيد الذي يشق عبابها ويمخر فوق صفحات مياهها ، فالى جانبه وتحته مسافرون آخرون هم اشد منه فتكا واسوأ اثرا وفق كل المعايير ، ففي الوقت الراهن هناك ما لا يقل عن ٥١٠ غواصات نووية تجوب شتى ارجاء بحار العالم ، ويضاف اليها ايضا ٦٥ سفينة حربية و١٠ بواخر مدنية تستخدم جميعها الدفع النووي .

واذا كانت هذه الاخيرة لا تتضمن سوى محرك او محركين نوويين لتأمين الحركة ،فان الباقي كله مزود عادة باسلحة نووية على شكل قنابل وصواريخ . وعندما تغرق احدى هذه القطع البحرية ، بحمولتها الخطرة او بدونها ، فان الصمت المطبق يلف عادة ما جرى ، وكذلك الامر حين يفقد سلاح من تلك الاسلحة (القنابل او الصواريخ النووية) خلال المناورات العسكرية . اما اذا حدث وشاع الخبر ، فان الرد الرسمي يأتي اولا بالنفي ، ثم اذا توفرت الادلة الدامغة صدر اعلان يقول مثلا ان ما قد جرى لا يتعدى اطلاق صاروخ « غير مسلح » وهو لا يشكل اي ضرر . وفي مثل هذه الحالات ، وما اكثرها ، فان المخدوع الوحيد هو الرأي العام ، وذلك لان جميع المعنيين بمثل هذه الامور في كل الامور في كل مكان لديهم الوسائل اللازمة التي تجعلهم يعرفون الحقيقة بحذافيرها .

تجاه هذا الوضع قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، ولاول مرة في تاريخها ، بمحاولة احصاء هذه الحوادث لتقديمها الى المؤتمر العالمي حول التلوث البحري الذي عقد مؤخرا في لندن ما بين الخامس والعشرين والتاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٩١م . وحسب ما ورد في التقرير الذي



اعضاء جمعية التلوث النووي .

قدمته الوكالة المذكورة ، فقد تـمَّ التأكد من وقوع ٣١ حادثة بالاضافة الى ١٦ اخرى لم تعترف بها اية دولة ، مع الاشارة بوضوح الى ان كمية الاسلحة الذرية المفقودة خلال تلك الحوادث ومواصفاتها ليست معروفة تماما ، وان كان المرجح انها عبارة عن صواريخ نووية . وفي هذا المنحى تأتي الولايات المتحدة على رأس قائمة المسؤولين عن مثل هذه الحوادث (١٨ حادثة من اصل ٣١) ، وهذا امر منطقي نظرا لامتلاكها اضخم ترسانة نووية في العالم ، ثم يأتي الاتحاد السوفياتي (سابقا) في المرتبة الثانية رغم مسؤوليته عن تسع حوادث فقط من بينها فقدان سبع غواصات .

الى جانب هذا اظهر التقرير كذلك ان الامر لا يتعلق بالقطع البحرية وحدها بل وبالطيران ايضا ، اذ عندما سقطت طائرة من طراز B-52 في ٢١ يناير ١٩٦٨م في مياه جزيرة غرينلاند على سبيل المثال ، تحطمت القنابل الذرية الاربعة التي كانت على متنها ، وتناثرت المواد المشعة ــ وخاصة البلوتونيوم ــ ضمن دائرة نصف قطرها ٥٠ كيلومترا مسممة كل الوسط البحري المحيط بمكان الحادث . كما تبين ان هذا بدوره ليس نهاية المطاف . فقد يحدث احيانا ان يختل عمل تابع اصطناعي مزود بمفاعل نووي ، فيغادر مداره في الفضاء ويعود الى الارض ، ليقع في معظم الاحوال في الماء ، لان مساحة البحار والمحيطات على الكرة الارضية تزيد ثماني مرات عن تلك التي تحتلها اليابسة .

وفي جميع هذه الحالات نادرا ما يجري استخراج الاجسام التي سقطت وغابت عن الانظار تحت المياه ، وذلك اما لعدم امكانية تحديد مواقعها بدقة ، او لاستقرارها على اعماق سحيقة يصعب الوصول اليها . وفي هذا الخصوص تجدر الاشارة الى المحاولات التي تقوم بها روسيا حاليا لاستعادة الغواصة كومسوموليتس التي غرقت في بحر الشمال قرب السواحل النرويجية في السابع من ابريل ١٩٨٩م وهي تحمل عددا من الصواريخ ، خاصة وان اعمال المراقبة والتصوير قد اوضحت ان هناك تسربا اشعاعيا من المفاعل النووي ، وان التآكل والصدأ قد وصلا الى الرؤوس النووية بأسرع مما هو متوقع .

وبشكل عام ، ترقد اليوم في قيعان البحار والمحيطات بهدوء ودون ضجيج ملايين المليارات من الواحدات الاشعاعية ، اي ما يزيد مرات عديدة عن تلك الجرعة التي انطلقت في الجو عقب كارثة مفاعل تشرنوبل النووي واحدثت ما احدثته من خوف وذعر .

مـَـاذا أيضـًا ؟

لكي تستكمل الصورة وتتضح ابعادها لا بد من الاشارة ايضا الى تلك الكميات الهائلة من النفايات النووية التي القيت بكل بساطة في حوالي خمسين موقعا بحريا عبر ست وثلاثين سنة ، وذلك ان بدايات هذا الامر تعود الى عام ١٩٤٦م عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة ، بينما ترجع نهايته الى سنة ١٩٨٢م حيث تم ايقافه وفق القرار المتخذ عام ١٩٧٥م في اعلان لندن حول منع التلوث البحري .

غير ان حصيلة ما جرى خلال تلك الفترة لا يمكن تجاهلها ، اذ استقرت في الاعماق مئات الآلاف من البراميل المغلفة بالزفت او الاسمنت ، وهي تحتوي على مواد مشعة قصيرة ومتوسطة العمر . واذا كان ناقوس الخطر قد بدأ يقرع اليوم ، فما ذلك إلا لان الكل يعرف ان أغلفة هذه النفايات لا تستطيع الصمود امام تأثير المياه المالحة الا لمدة ١٠ ــ ١٥ سنة ، وقد انقضت هذه الفترة الآن !

هـذا باختصار ملف التلوث النووي للبحار والمحيطات بعد ان انكشفت اسراره وبانت معالمه ، وهو برهان واضح على مدى الاستهتار الذي تعاملت به البشرية مع البيئة المحيطة بها ، ومقدار الضرر الذي سببته لها . وفي هذا الخصوص يقول العلماء ان هذا التلوث ــ وليس التلوث النفطي ــ هو من أخطر المشاكل التي نواجهها اليوم ، واذا لم يجر تحرك سريع لمعالجته بشكل جذري ، فان الانسانية قد تجد نفسها قريبا محاطة ببحار ميتة ، وحينها لن ينفع الندم ولا الاسى □

"الخواطر المجنحة" وشيخ الكتّاب السعوديين

محمّد حسين زيدان*

بقلم: د. محمّد الصّادق عفيفي - الظهران

لا أريد ان ادخل في المعنى (الاصطلاحي) لمعنى (الخاطرة) باعتبارها فنا من الفنون الادبية، ولكنني انظر اليها من المنظور اللغوي الذي يعني : ما يخطر بالقلب من أمر أو رأي أو معنى .. وفي ذلك باب واسع للافادة من معطيات الخاطرة ، وتحليل اسلوبها ولغتها وتجنيحها ان كانت مجنحة ، ولا شك ان محمد حسين زيدان يرحمه الله كان لديه الاستقرار العاطفي ، والانفعال الهادىء عندما كتب هذا الكتاب اكثر بكثير من انفعاله وهو شاب ، أي ان العقلانية كانت تميل به الى الحكمة في عباراته على حساب الحركة العاطفية حيث نزع في كتاباته في (الخاطرة) و (الصورة) الى التأمل وإعمال الذهن ، وابراز الفكرة الفلسفية ، والحرص على تحديد الكلمة عن طريق الاستخدام اللغوي البياني .

ولغتنا بكل المقاييس ذات طبيعة فنية ، وقد اتخذ الكتاب والشعراء والقصاص .. تلك اللغة وسيلة للكشف عما بين جوانحهم ، والى هذا اشار زيدان في مقدمته لكتابه (خواطر مجنحة) حيث يقول : « فالكلمة اليوم اصبحت مصدر التيه والزهو .. ، وقد كنت أطرب لهذه الكلمة اذا قرأت الرافعي وغيره ، أطرب لجرسها .. وأطرب لألوانها وبيانها » واذن فزيدان من عشاق الكلمة الوارفة الظلال ، الكلمة الراقصة ذات الايحاء والموسيقى ، التي توحي بها الفكرة المفلسفة ، والتي نستطيع من خلالها ان نتفهم روح الكاتب واصالته ، وان نتعرف على عناصر فنه ، وها هو يقول « ان الرافعي وامثاله وانا اتابع لهم ، يقرؤون (بضم الياء) بالاذن - فالجرس والبيان هما عطاء التفهيم » وبهذا يثير في الذهن (الصور المجنحة) والمدركات من خلال تجاربه وخبراته التي ترتبط بالخاطرة .

ألوان التوجيه :

واذا كان علماء المعجمات اللغوية قد انصرفوا الى ضبط العلاقة بين اللفظ ومدلولاته استنادا الى المعيار الآلي ، فان الكتّاب ومنهم زيدان قد اتجهوا الى الاستخدام الادبي الفني ، وابراز الكلمات الموحية للتوجيه الفلسفي ، استمع اليه وهو يقول : البخل شحك بما تملك ، والحسد شحك بما لا تملك .. تمنع ما ملكت يكسبك الحسرة وتمنع ان يملك غيرك نعمة من الله ، فيصلى وجدانك بالحريق ، فقد قالوا : « الحسد نار تحرق الجسد[1] » .

والى التوجيه الرومانسي : استمع اليه وهو يقول : « ما أجمل هذا المكان ، فاحت فيه رائحة (الفاغية) كأنما هي قد كستنا الحب المضاعف لمن تمنينا ان يكون معنا ، هذا رائع .. ينقصه الذي ينغصه ، فقد ضاع جمال المكان في صمت التمني ، فلو جاء الحبيب لذهب التنغيص، فتضاعف الحب .. »[2] .

والتوجيه الذوقي : استمع اليه وهو يقول : « للمتنبي صورتان رسمهما بالحروف ، كلمات فيها عمق السخرية ، كأنه قد سبق عصر (الكاريكاتير) ، الصورة الاولى في هذا البيت :

وأسود مشفره نصفه   يُقال له : انت بدر الدُّجى

والصورة الثانية في هذا البيت :

يستخشن الخز حين يلمسه   وكان يُبرى بِظُفره القلم[3]

والتوجيه الرمزي في خاطرته التي يقول فيها : « قالت ارنب لديك : أينا أشهى طعاما ؟ قال الديك : انت لمن صادك ، وانا لمن اشتراني . وكان الغراب على الشجرة فقال : وأين انا[4] » .

والتوجيه الواقعي في خاطرته التي يقول فيها : « الانثى الامومة تحترم الذكر الفحل ، لانه الابوة ، وترحم الذكر الطفل لانها الامومة » .

والتوجيه البياني في خاطرته (اللغة الشاعرة) التي يقول فيها : « .. تعالوا معي الى هذه الواو في قوله سبحانه عن استقبال

---

* هو أديب وكاتب متعدد الجوانب ، شغل قبل وفاته رئاسة تحرير مجلة الدارة .

(١) خواطر مجنحة ١٥ .

(٢) المصدر السابق : ١٦ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٢ .

(٤) خواطر مجنحة : ١٤ .

جهنم للكافرين ، والجنة للمتقين في سورة الزمر آية (٧١–٧٣) :

﴿ **وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين . قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين . وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ . فانك تجد لذة البيان ، وعظمة الابانة في هذا الجرس من هذه الواو في كل الآيات التي قبل هاتين الآيتين في سورة الزمر حتى جاءت واو ﴿ **وسيق** ﴾ تتسق مع النسق قبلها ، اما هذه الواو في آية استقبال الجنة للمتقين ﴿ **وفتحت ابوابها** ﴾ لم تأت في الآية التي جاء الخبر فيها واضحا مشرقا عن استقبال جهنم للكافرين ، ففي استقبال جهنم ﴿ **فتحت ابوابها** ﴾ لهم اعلان عن المفاجأة .. اما الواو في قوله تعالى عند استقبال الجنة للمتقين ، فقد جاءت تشعر بالرأفة والجزاء الحسن » واذا كان الزمخشري قد تطرق الى ذكر تلك الواو[٥] فان المفسر الملهم الشهير ابن الجوزي زاد وأوفى[٦] .

والتوجيه المجنّح في صوره التي نختار منها قوله : « وأخونا الشجي – كنت الخلي قبل ان اكون الشجي بشجواه – زارني عصر يوم يبتسم فيه الغيم بالبرق ، قبل ان تبكي دموع الغيم يحيا بها الحياة . » .

ونعت « غندريس » هذا اللون من الكتابة « بانه في غاية الدقة ، ويتطلب حسا لغويا مدربا ، ولطفا عاليا في الذوق الادبي ، يضاف اليه معرفة واسعة بضروب الحياة » .[٧] وإدخال زيدان من هذا الضرب من الكتاب ، وتلك كلمة له في هذه السبيل لا تخرج عن كلمة غندريس : « ان شيئا واحدا قد يتفوق على تذوقك .. هو الكلمة البيانية شعرا أو نثرا ، حديثا مرسلا أو مذاعا .. ذلك لانه يجمع بين متعة النفس والعين والقلب ، ويزيد عليها بمتعة العقل ، ومتعة الاحتفاظ . كل جميل غير الكلمة البيانية قد ينتهي الى الذكرى ، اما الكلمة البيانية فانها لا تنتهي بالذكرى ، لان متعة العقل بها يجعلها حاضرة ناضرة بالتذكير »[٨] .

وأسلوب زيدان – كما نلمس – في جملة مقالاته ، ومن خلال المقتطفات السابقة ، اسلوب رصين ينسجم مع مميزات فكره بصورة عامة ، وتعلو نبرته في المقال الوجداني ، وهو يتبع فيه معايير الاسلوب الخطابي الذي يجمع بين قوة الحجة ، وسلامة المنطق ، وتقرير الحقائق ، حتى انه نفسه يدرك ذلك فيقول مخاطبا دمشق : « انا لا اكتب هذا ثائرا عليك ، فحبك في الاعماق ، ولا اثيرها ثائرة عليك ، واقسم بكل محرج من الايمان اني ما اردت الا ان استشيرك لتصوني نفسك ، ولتصوني قومك »[٩] .

كذلك يتسم مقاله بسمات الاخبار ، ولعل هذا ألصق بالفكرة التي يريد تقريرها ، وليعكس المقال بعض الخصائص العامة لثقافة الاستاذ زيدان من حيث عقيدته الدينية والعربية ، وتملؤه بمأثور الشعر الذي يتخير منه شواهد يوثق بها قضاياه[١٠] . وهو اسلوب قريب من الطبع لا يتكلف فيه الصور البيانية ، بل يأتي بها عفو الخاطر كقوله في مقالته : العروبة لسان « أشرق البرهان على الصفا »[١١] و « ان بعضهم هجر القرآن فاتسخ الجنان – بفتح الجيم – بمذاهب ابعدته عن قيمة الارض والدين ، فأسقطه في بؤرة الاستقطاب » و « دمشق حاضنة الربوة ذات القرار »[١٢] وتحرر الاسلوب ، وتحرر الفكر ، وقوة الايمان تعتبر من السمات المميزة في مقالات زيدان .

ويقول عبدالله جفرى : « والزيدان يكتب بأسلوب متفرد بحيث تقرؤه دون توقيع ، فهو يجمع بين الاسلوب المباشر ، والمخاطبة السريعة او (التلغرافية) حينما يكتب في السياسة يفعل ذلك ، وحينما يكتب في النقد الاجتماعي ايضا ، ولكنه حينما يكتب في التاريخ ، ويكتب في الوجدانيات يعطيك عبارة مجنحة مموسقة ، عبارة تصويرية بالالوان ، ومن رأيه : ان التاريخ – وان علا الحقائق – فلا بد ان يكتبه المؤرخ بعبارة وجدانية[١٣] » .

ويعود ثانية ليقول في تقديمه لكتاب زيدان (ثمرات قلم) : « ان الزيدان صاحب اسلوب مجنح » والحق ان في هذه العبارة نوعا من المغالاة ومجاوزة الواقع ، حيث ان زيدان ليس من اصحاب الاساليب المجنحة ، وليس معنى هذا : ان عباراته تخلو من هذا اللون كلا ، ولكنه في القليل يرق ، وتبرز ذاته ، ويلتهب وجدانه فيأتي بعبارة او عبارتين في سياق احدى مقالاته .

ولكننا لا نستطيع ان نضع ايدينا على مقال واحد يتسم في جملته بالتجنيح ، كما نضع ايدينا على احدى القصائد الشعرية المغرقة في التجنيح لشاعر وجداني ، كبعض قصائد نزار قباني على سبيل المثال ، وهذه العبارات المجنحة تبرز في (صوره) الموجزة ، اكثر من مقالاته .

ونعني بالاسلوب المجنح : انه ذلك الاسلوب الذي يحمل لنا صورا فوق الواقع من افكار يوحى بها ، واشعاعات تكسب العمل الفني جمالا يقوم على التشبيهات والاستعارات والمجازات ، وعلى حد تعبير عبدالقاهر الجرجاني : « للاديب ان يقول المعنى ، ومعنى المعنى ، نعني (بالمعنى) المفهوم من ظاهر اللفظ ، والذي نصل اليه بغير واسطة ، و (بمعنى المعنى) ان تفهم من اللفظ اشياء بطريق المجاز والاستعارة تفضي بك الى معنى آخر ..[١٤] » ، ومن عبارات الزيدان التي تدخل تحت هذا التعريف : « ركام اليأس – السلام صانع اليابسة » – أشرق البرهان على الصفا – اتسخ الجنان – عهر الكلمة – نداء الفتنة – النطق الصامت – امسك الشيطان بأنوثة الانسان رحم الله محمد حسين زيدان عاشق الكلمة الصادقة ، ولعلنا – بهذا الموضوع القصير نكون قد وفيناه بعض حقه □

(٥) الكاشف عن حقائق التنزيل (ط – الاستقامة بمصر ١٩٥٣) . (٦) زاد المسير : ٧/٩٩ (ط – المكتب الاسلامي بيروت ١٩٦٤) (٧) اللغة لغندريس : ١٨٨ (ترجمة الدواخلي والقصاص) ط – الانجلو بمصر . (٨) خواطر مجنحة : ٤١ . (٩) ثمرات قلم : ٨٤ . (١٠) انظر : ص٣١ ، ١٢٣ ، ٤٨ . (١١) من ثمرات قلم : ٢٩ . (١٢) ثمرات قلم : ٢٨ . (١٣) انظر : المقدمة . (١٤) دلائل الاعجاز : ١٨٧ (ط – مكتبة القاهرة ١٩٦٩) .



البلدان النامية والتجارة الخارجية

بقلم: الأستاذة كاتبة الجيوسي - الأردن

تسعى الدول النامية جاهدة لتحقيق التنمية الاقتصادية، وهذا لن يتم الا عن طريق التكامل بين القطاع الزراعي، والقطاع الصناعي، وتطوير عناصر الانتاج المحلية، وتنمية الموارد البشرية، وفي هذا البحث سيكون التركيز على عملية التنمية من خلال التجارة الخارجية ودراسة خصائص اقتصاديات الدول النامية.

إن ما يميز الاقتصاد المزدوج في الدول النامية هو وجود قطاع زراعي تقليدي متخلف الى جانب قطاع صناعي حديث (Modern Industrial Sector) وقد نشأت هذه الازدواجية في معظم الدول النامية بسبب الظروف الموضوعية والتاريخية التي مرت بها، من استعمار اقتصادي وتبعية سياسية. فبعض الدول النامية تطور فيها قطاع التصدير الذي يستخدم احدث مستويات التقنية ويكون موجها الى الاسواق العالمية، يواكبه قطاع تقليدي متخلف وهو القطاع الزراعي المحلي.

ولم يستطع هذا القطاع الصناعي الحديث ان يتوسع بشكل يساعد على نقل الاقتصاد من حالة التخلف الى حالة التطور، بل انه في احيان كثيرة لم يؤد الى رفع مستوى الدخل الفردي. فما هي الاسباب التي أدت الى حدوث مثل هذه الازدواجية؟ هناك دراسة اجريت على تجربة بلدان شرق آسيا تبين ان الاستعمار خلال وجوده الطويل عمل على تكبيل اقتصادياتها من خلال الظواهر التالية:

- **تجزئة الاقتصاد المحلي الى قسمين منعزلين**: الأول قطاع حديث متطور موجه الى التصدير، وقطاع آخر وهو يمثل الجزء الأكبر متخلف وتقليدي وهو القطاع الزراعي.
- **هيمنة تصدير موارد الأرض الطبيعية**: (نفط، نحاس، خشب) على النشاطات الاقتصادية الأخرى.
- **قطاع صناعي محدود**.

خصائص صادرات الدول النامية

لكي نفهم طبيعة التجارة الخارجية في الدول النامية يجب ان ندرس خصائص صادراتها ، فمن الملاحظ ان صادرات السلع أو المواد الأولية مثل الغذاء والمواد الخام والنفط تشكل اكثر من ٧٥٪ من الصادرات الكلية التي تعد مصدرا مهما للحصول على العملات الصعبة ، ويعد معدل نمو صادرات الدول النامية ونسبتها الى صادرات العالم الكلية مؤشرا مهما وحاسما لدراسة نماذج التجارة الدولية التي تسهم فيها تلك البلدان ، لذلك لا بد من التركيز على النقاط التالية :

- ان انخفاض معدلات النمو في صادرات الدول النامية مقارنة بنمو صادرات الدول المتقدمة يمكن توضيحه باستخدام مرونة الطلب الفعلية Elasticity of Demand . فبالنسبة للمنتجات الأولية Primary products فإن المرونة الداخلية تعد منخفضة نسبيا لكن بالنسبة للسلع المصنعة وللنفط ومشتقاته تكون المرونة مرتفعة نسبيا .
- ان معرفة ما تملكه الدول النامية من وفرة في عناصر الانتاج يساعد في توضيح أنواع السلع التي يمكنها تصديرها وتلك التي يمكن ان تستوردها ، فمثلا نجد السعودية والكويت وليبيا تقوم بتصدير النفط ، كما ان زامبيا وزائير وتشيلي تصدر النحاس ، بينما تقوم اندونيسيا والفلبين وغانا بتصدير الخشب وهكذا .
- ان طبيعة المناخ تعد عنصرا مهما من عناصر الانتاج المساعدة في انتاج سلع مختلفة كالبن والكاكاو والمطاط والزيوت النباتية .
- ان وفرة عنصر العمل في الدول النامية يؤدي الى انتاج وتصدير السلع التي تتميز بالاستخدام الكثيف لعنصر العمل .
- ان النقص النسبي في رأس المال المادي والبشري الذي تعاني منه الدول النامية قد يجعلها مضطرة الى استيراد السلع التي يستخدم في انتاجها كثافة رأسمالية عالية كالسلع الالكترونية والمكائن .

وهكذا فان طبيعة ما هو متوافر من عناصر الانتاج يصبغ صادرات تلك الدول بسمة معينة من المواد الاولية .

استراتيجيات التجارة الخارجية في الدول النامية

اتصفت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بنقص دور الصادرات في عملية التنمية الاقتصادية في الدول النامية بسبب ظروف الحرب وانقطاع طرق المواصلات ، لكن بعد ذلك بدأت الأهمية النسبية للصادرات تستعيد دورها على نحو متصاعد .

لقد نادى بعض الاقتصاديين بضرورة التوسع في الصادرات لأنها تسهم في تنفيذ عملية النمو الاقتصادي . لكن اعتماد الدول النامية في الغالب على انتاج وتصدير سلعة أو سلعتين أضعف موقفها نتيجة لتذبذب اسعار السلع المصدرة التي تعمل في هذه الحالة باتجاه معاكس لعملية النمو الاقتصادي . وقد قال الاقتصادي راؤول ببريش (محافظ البنك المركزي في الارجنتين سابقا) ان هناك ميلا لانخفاض اسعار الموارد الأولية يقابله من جهة اخرى ارتفاع في اسعار السلع المصنعة .

وقد رأت بعض الدول أن التنمية الاقتصادية لا يمكن تحقيقها الا بالتصنيع وذلك عن طريق الانتاج المحلي بدلا من استيراد السلع المصنعة ، لكن هنا قد تظهر مشكلة ضيق الاسواق المحلية ، لذلك فان سياسة التجارة الدولية المعتمدة على تصدير السلع الأولية أو على احلال الاستيرادات توفر لها فرصة قليلة في تحقيق التنمية الاقتصادية . وهذا ما دفع بعض الدول النامية الى اعتماد سياسة بديلة تعتمد اعتمادا أساسيا على تصدير السلع المصنعة التي تستخدم العنصر الوفير لديها من الايدي العاملة ، وقد اطلق عليها سياسة احلال الصادرات المصنعة نتيجة العمل محل الصادرات الزراعية كثيفة العمل .

وعلى الرغم من الدعم النظري الواسع لتحرير التجارة الدولية بجعلها خاضعة لقانون العرض والطلب ، الا ان هناك بعض السياسات التي قد تسبب الضرر لبعض الصناعات وبعض شرائح المجتمع مثل المزارعين وأصحاب الحرف ، الذين يسعون بكل الوسائل للحصول على الحماية اللازمة ، لذلك قامت بعض الدول باتخاذ السبل الآتية لضمان الحماية اللازمة لبعض القطاعات المتضررة :

- التعرفة الجمركية على الواردات وفرض الضرائب على التجارة الخارجية ، التي تعد مصدرا مهما للايرادات الحكومية في معظم الاقطار .
- تقييد أو تحديد الاستيراد يعتبر احدى السبل لتحسين ميزان المدفوعات . وذلك وفق سياسة نموذج الفجوتين في التخطيط الاقتصادي (Two Gap Planning Model) . التي يمكن اعتبارها وسيلة مهمة لتقليل الحاجة الى العملات الأجنبية في الدول النامية .
- تقييد الاستيراد يمكن ان يشجع الصناعة عن طريق تحفيز أصحاب الأعمال المحليين أو الأجانب على

الاستثمار في الصناعات الوطنية عن طريق تمكينهم من الحصول على أرباح عالية . لأن هذه الأرباح تصبح مصدرا للادخار الضروري لتوسيع الاستثمارات وكذلك اعطاءهم الفرصة للحصول على المكائن والآلات بأسعار مناسبة .

— زيادة الصادرات من السلع الأولية في الدول النامية يعد أمراً صعباً ، لذلك فالحاجة ملحة للاعتماد على سياسة التصنيع لتقليل الواردات ، مما يعطي فرصة لتنويع اقتصاديات الدول النامية .

— التوسع الصناعي المحلي يساعد على توفير فرص العمل ويؤدي الى القضاء على مشكلة البطالة ولو بصورة جزئية .

— تلجأ بعض الدول الى تحديد مباشر للحجم المسموح به من السلع الواردة اما عن طريق تحديد وحدات الاستيراد او تحديد قيمة معينة للحصص خلال فترة زمنية محددة ، واحيانا قد تقوم بتحديد مصادر الاستيراد ، مما يعني تقليص الواردات . ان الصفة الاساسية لاستخدام حصص الاستيراد هي التحديد المباشر أو غير المباشر أو السيطرة المباشرة على حجم السلع بغض النظر عن العلاقة السعرية بين الدول المشتركة في مجال التبادل الدولي .

ومن الملاحظ أن هناك فرقاً بين حصص الاستيراد والتعرفة الجمركية يكمن في ان الحصص لا تنتج اية ايرادات للدولة .

لذلك نجد أن هناك بعض الانتقادات التي وجهت الى سياسة تقليص الواردات :

— في ظل سياسة تقليص الواردات تنمو طاقة متزايدة وتصبح هناك طاقة انتاجية فائقة مما يؤدي الى أن تصبح هذه الصناعات عبئاً على الاقتصاد الوطني ومن ناحية اخرى تتطلب هذه الصناعات ادوات ومكائن ومواد أخرى للصيانة وهذا يتطلب الاستيراد من الخارج مما يشكل ضغطاً على ميزان المدفوعات .

— قد تؤدي سياسة تقليص الواردات الى نمو الصناعات الكمالية وشبه الكمالية من اجل اشباع طلب الفئات الغنية ، وفي هذه الحالة تتوجه الزيادة في الدخول الى مجالات الانفاق غير الضرورية مما يقلل الادخارات المؤدية الى الاستثمارات .

— قد يحدث احيانا (كما حدث في البرازيل والمكسيك) ان تؤدي سياسة تقليص الواردات الى اهمال البنية التحتية كالنقل والخدمات ، وهذا يهدد بحدوث اختناقات قاسية اذا ما حدث تمركز اقليمي للخدمات .

ان وجود مثل هذه الانتقادات لا يعني عدم وجود جوانب ايجابية لسياسة تقليص الواردات فقد تكون هذه السياسة ناجحة ، خاصة في الدول التي تتميز بحجم كبير للسوق المحلية وعند توافر المواد اللازمة لتلك الصناعات .

استراتيجية احلال الصادرات

تعمل هذه السياسة على تشجيع الصادرات الحديثة مثل السلع المصنعة من المواد الأولية ، أي تصنيع المواد الأولية قبل تصديرها أو احلال السلع شبه المصنعة أو المصنعة محل الصادرات التقليدية من المواد الأولية .

ان سياسة تشجيع الصادرات لها مزايا وفوائد تفوق سياسة تقليص الواردات ويمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

— ان سياسة احلال الواردات تخلق سلاسل من التأثيرات المتداخلة في المدى البعيد وتعيد ظاهرة التبعية وتعيق المتغيرات الهيكلية (Structural Changes) المطلوبة لأغراض التنمية المتواصلة .

— ان تطوير صناعة بدائل الواردات غالبا ما يجري على حساب صناعات التصدير وذلك لأنها تمنع توسع الصادرات من خلال رفع كلفة عناصر انتاج السلعة المصدرة وبهذا لا تستطيع منافسة السلع الأجنبية في الأسواق العالمية .

— ان التصنيع بواسطة احلال الصادرات يسهم في تحقيق اهداف معينة كالتوسع في استخدام العمال وتحسين توزيع الدخول .

ومن اجل ان تكون سياسة احلال الصادرات ناجحة ومفيدة فانه يجب المحافظة على معدل سعر الصرف الأجنبي للعملة المحلية ، لأن هذا المعدل هو الذي يجعل عملية بيع السلع المصنعة وشبه المصنعة والخدمات في الأسواق العالمية عملية مربحة ، وهذا يتطلب من الدول النامية ان تقوم بتخفيض قيمة عملتها المحلية خلال فترات زمنية معينة ، وهذا ما حدث فعلا في البرازيل ، فبعد الحرب العالمية الثانية قامت بتخفيض عملتها لعدة سنوات لاحقة .

وقد تقوم الحكومة أحيانا باتخاذ سياسات معينة لتشجيع سياسة إحلال الصادرات منها :

— تقديم خدمات لا يمكن ان تؤديها الشركات بمفردها

كخدمات التسويق أو التأمين لتغطية المخاطر التجارية .
— دعم بعض الصادرات لحفز أصحاب المصانع والمشروعات على زيادة الاستثمار لتوسيع القدرة التصديرية .
— تخفيض معدلات الفائدة أو الدعم النقدي المباشر .
— تخفيض التعرفة الجمركية على عناصر الانتاج المستوردة التي تدخل في صناعات التصدير .

وهكذا نستطيع القول ان الاعتماد على سياسة واحدة لتشجيع الصادرات أو سياسة واحدة لتقليص الواردات قد يكون فاشلا ، أي أنه ليس ضرورياً الاعتماد على سياسة منفردة ، لكن من الممكن ان يكون هناك تكامل ومواكبة ما بين السياستين من اجل زيادة الناتج المحلي ، فمثلا من الممكن لأي بلد نام ان يخصص كمية من موارده لنشاطات قطاع التصدير تجعله قادرا على استيراد كميات معينة من السلع التي لا يستطيع انتاجها محليا ، ومن ناحية اخرى يستطيع ان يخصص كمية من موارده لانتاج سلع يستوردها من الخارج ، ولكن هنا تبرز مشكلة حجم الاقتصاد الوطني والسوق المحلية ووفرة موارده الطبيعية ومستوى التطور التقني وتركيب صادراته والمرونة السعرية للطلب على صادراته . المشكلة هنا ليست باختيار سياسة احلال الصادرات أو المستوردات ولكن استخدام المزيج الصحيح والأمثل لكل من السياستين .

ان الحل الأمثل للقضاء على ازدواجية اقتصاديات الدول النامية هو اتخاذ سياسة التكامل الاقليمي فيما بينها ، لأن الدول النامية قد تجد نفسها في مواجهة الدول المتقدمة مع عدم استطاعتها تحسين معدلات التبادل التجاري مع تلك الدول وهذا ما دفع بعض الدول النامية الى تشكيل مجموعات تجارية اقليمية ، الغرض منها هو تحفيز التنمية الاقتصادية واعطاء الافضلية للتصدير لبعضها البعض دون الاعتماد على الاسواق العالمية .

والتكامل الاقليمي يؤدي الى تسريع عملية التنمية الاقتصادية . فالتجارب الحديثة للتكامل الاقليمي بين الدول النامية اثبتت انها عندما تجاوزت مرحلة المخاوف وقضت على العوائق التي كانت تقف بوجه حرية التجارة فيما بينها ، وسعت تجارتها وزادت معدلات نموها الاقتصادي .

وهذا ما حدث عندما تشكلت سوق مشتركة من خمسة اقطار من امريكا الوسطى وهي كوستاريكا والسلفادور وجواتيمالا وهندوراس ونيكاراغوا (CACM) كما تأسست عام ١٩٦٠م جمعية التجارة الحرة لامريكا اللاتينية (LAFTA) وجمعية التجارة الحرة لمنطقة الكاريبي (CARIFTA) التي تأسست عام ١٩٦٨م وتحولت الى سوق مشتركة عام ١٩٧٣م .

ان حاجة الدول النامية الى التكامل الاقليمي تبدو متوجهة نحو تحول التجارة (Diversion Trade) وليس نحو إنشاء التجارة (Trade creation) فهذه البلدان ترغب على الاقل في تحويل جزء من مشترياتها من الدول المتقدمة الى الدول النامية المشتركة معها في عملية التكامل الاقليمي .

ولكن عملية التكامل الاقليمي بين الدول النامية لا تخلو من صعوبات ، فعلى الصعيد الاقتصادي تجد ان البلدان الاكثر تخلفا تتخوف من حرية دخول سلعها الى ذلك البلد ؛ وذلك بسبب الخوف من عملية المنافسة ، وهذا ما دعا بوليفيا الى رفض الدخول في منطقة التجارة الحرة لأمريكا اللاتينية اعتقادا منها ان هذا سيؤدي الى اعاقة عملية التنمية الاقتصادية فيها . واحيانا يكون من عوائق التكامل الاقليمي الاسباب السياسية لأن كثيرا من الدول تعتبر ان عملية التكامل الاقليمي تقلل من سيادتها .

والان لو ألقينا نظرة على مشروع التكامل العربي لوجدناه من اكثر المشروعات تعقيدا ، فلقد سعت الجامعة العربية منذ تأسيسها عام ١٩٤٥م الى ايجاد نوع من السوق العربية المشتركة وأسست كثيرا من المؤسسات الاقتصادية لهذا الغرض ، لكن هذا بقي مجرد حبر على ورق ولسنا هنا بصدد البحث في هذه النقطة .

ان عملية التكامل الاقليمي بين الدول العربية لكي يتحقق لها النجاح ، يجب ان تتم على شكل مراحل ومجموعات ؛ أي ان تكون بشكل مرحلي وتدريجي وبشكل مدروس ؛ لأن هذا سوف يؤدي الى تعميق الترابط العضوي بين اقتصاديات الاقطار العربية وهذا ما حدث فعلا عندما تأسس مجلس التعاون لدول الخليج العربي .

فقد كان تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربي سنة ١٩٨١م نتيجة لادراك هذه الدول بأهمية التنسيق والتعاون الذي سيعود عليها بالخير والفائدة ، ولقد اسس المجلس مؤسسة الاستثمار الخليجي برأسمال قدره ٢١٠٠ مليون دولار ، وهذا التعاون ساعد على تطبيق سياسة تنويع مصادر الدخل . لذلك قامت دول المجلس بتأسيس مجمعات صناعية كبيرة جدا للبتروكيماويات في كل من السعودية والكويت وصناعات اخرى من اجل تحقيق هذا الغرض ، كما انها استطاعت ان تقوي موقفها التفاوضي مع بقية دول العالم وخاصة الصناعية منها □

كتب مهداة

★ « **مذكرات سيارة خاصة** » تأليف الأستاذ ابراهيم الشنطي ، كتاب طريف يتحدث المؤلف فيه على لسان سيارة خاصة عن القواعد المرورية ويقدم عدة نصائح عن السلامة وضرورة توخيها . ويقع الكتاب في ٧٩ صفحة من القطع الصغير .

★ « **ادبنا في آثار الدارسين** » والكتاب هو مجموعة أبحاث الندوة التي نظمها النادي الأدبي الثقافي بجدة وشارك فيها الدكتور منصور الحازمي والدكتور محمد الخطراوي والدكتور عبدالله القحطاني واصدرها النادي الأدبي في كتاب يقع في ٢٤٠ صفحة من القطع الصغير . واستعرض الدكتور منصور الحازمي في الندوة أهم الدارسين لفن القصة القصيرة في المملكة . اما الدكتور الخطراوي فقد تحدث عن الشعر السعودي في آثار الدارسين . وتحدث الدكتور القحطاني عن نقد الشعر السعودي في آثار الدارسين وملاحظاته على تلك الدراسات .

★ « **عقبات في طريق الدعوة** » تأليف الدكتور ابراهيم محمد عباس . ويقع في ١٢٠ صفحة من القطع الصغير ويتكون من فصول أربعة عرض فيها المؤلف منهج الدعوة وغاياتها والعقبات التي يواجهها الداعية في التصور والسلوك وفي منهجية الدعوة والطريق . والكتاب من منشورات نادي جازان الأدبي .

★ « **امير الحب** » رواية تأليف القاص محمد زارع عقيل ، وجاءت في ١٥٣ صفحة من القطع الصغير واتسمت بالحبكة الفنية والطرافة التعبيرية والابداع التصويري . وطلى المؤلف احداث قصته بأسلوب تشويقي فني ممتع . والقصة من منشورات نادي جازان الأدبي .

★ « **مقالات في أدب الحمقى والمتحامقين** » تأليف الأستاذ أحمد الحسين ، وضم الكتاب مقالات تهدف الى التعريف بموضوع الحماقة والتحامق . وقد تتبع المؤلف في مقالاته نشوء ظاهرة التحامق في المجتمع العربي بدءا من العصر الجاهلي وصولا الى العصر العباسي . وشرح معاني الحماقة كما وردت في المعاجم ، وكتب الأدب ، وحلل دوافع اهتمام الأدباء بتدوين اخبار الحمقى او المتحامقين وأسباب التحامق ودوافعه ، وبعض سير أبرز اعلام التحامق وجاء الكتاب في ١٥٧ صفحة من القطع الصغير .

★ « **شاطىء اليباب** » ديوان شعر للشاعر عدنان السيد محمد العوامي . وحوى ٤١ قصيدة من الشعر العمودي عبر فيها الشاعر عن خلجاته وأحاسيسه نحو العديد من الموضوعات التي جمعت بين همومه الذاتية ومجتمعه . ومن عناوين قصائده : خليجية ، البكاء بلا دموع ، تاروت ، من ارض خولة ، صفوى ، العودة ، آخر الحروف .

★ « **الأفلاج** » تأليف الدكتور ابراهيم بن صالح الدوسري ، والكتاب من اصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب ضمن سلسلة كتاب هذه بلادنا ، وقد تحدث المؤلف عن موقع منطقة الأفلاج وحدودها وسبب التسمية والجغرافيا الطبيعية للمنطقة والسكان والعمران ونشاط السكان وآلات وادوات المنطقة القديمة واكلاتها الشعبية وملامح النهضة العمرانية فيها ومؤسساتها ودوائرها الحكومية .

★ « **مستخلصات مشاريع البحوث المدعمة** » هذا الكتاب من اصدارات جامعة الملك عبدالعزيز . ويضم عرضا شاملا لجميع البحوث التي دعمتها الجامعة لعام ١٤١١هـ . وقد صنفت وفقا للتصنيف العشري العالمي ، وضم الكتاب ملخصات لتلك البحوث بالاضافة الى كشافين الأول بالموضوع والآخر للمؤلف .

★ « **الموسوعة العلمية الفلكية** » للأستاذ عبدالوهاب سليمان الشراد ، ويعالج الكتاب بالرسومات والصور فروع علم الفلك كافة ويتحدث عن تاريخ العلوم الفلكية ودور العلماء المسلمين واسهاماتهم ، والنظريات الفلكية والأجهزة العلمية البصرية المستخدمة في قياسات وأرصاد علم الفلك . وجاء الكتاب في ٣٥٦ صفحة من القطع المتوسط .

★ « **التعليم والتعلم في الجامعات والمعاهد العليا** » تأليف روث بيرد وجيمس هارتلي وترجمه الى العربية الدكتور احمد ابراهيم شكري ، والكتاب من اصدارات مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، ويضم فصولا خمسة تناقش التغيرات التي طرأت في مجال التربية منذ عام ١٩٧٥م والمشاكل المتعلقة بأهداف التعليم وطرق التدريس وتقويمه وارشاداته .

★ « **الأصالة والمعاصرة .. المعادلة السعودية** » تأليف الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي ويقع في ٤٧٠ صفحة من القطع المتوسط ، والكتاب عبارة عن دراسة مفصلة تناولت مجمل النواحي الرئيسة للتنمية في المملكة ومراحل تطورها من خلال معلومات احصائية موثقة عن التقدم الذي احرزته المملكة في جميع المجالات .

★ « **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان** » الجزء الأول من تأليف المؤرخ والشاعر الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي . وهذا الكتاب الذي يتكون من ٧١٠ صفحات من القطع المتوسط عبارة عن موسوعة تعرف بأدباء منطقة جازان خلال فترة تبدأ من أواسط القرن الهجري الأول وتنتهي بالعقد الثالث من القرن الثالث عشر الهجري والكتاب من اصدارات نادي جازان الأدبي .

★ « **بيئة من أجل البقاء** » تأليف الدكتور سعيد محمد الحفار ويتكون الكتاب من عدة ابواب يتحدث فيها المؤلف عن البيئة ومشكلاتها واستراتيجياتها والتدهور والتلوث البيئي والمحيط الحيوي وأهم مشكلات الكرة الأرضية والقضايا البيئية العالمية في ضوء المنظور البيئي لعام ٢٠٠٠م وتحديات البيئة حاليا ومستقبلا وطرق مجابهتها والموارد الطبيعية وطرق ترشيد سياسات ادارة الكرة الأرضية □



غايات التربية وفق المنهج الإسلامي

بقلم: الأستاذ مُصطفى عيد الصّياصنة - الباحة

مما لا شك فيه أن غاية التربية لدى أية أمة تنبع من فلسفة هذه الأمة ونظرتها الى الحياة ، وما لديها من قيم ومثل هي جوهر حياتها وملمح شخصيتها وسر وجودها ، مع الأخذ بعين الاعتبار حاجاتها المتجددة وطموحاتها المتنامية بما يحقق آمالها في حاضر الحياة ومستقبلها .

ومن هنا كان لا بد أن تتناسب غايات التربية ـ في كل أمة ـ وحجم الرسالة التي تنهض بأعبائها ، ومدى ثقل دورها في معترك الحياة .

وليست هناك أمة ـ في حجم رسالتها وثقل دورها ـ كالأمة المسلمة ، فهي أمة القرآن ، ووارثة العقائد السماوية ، ورائدة الخير والهدى الى البشرية كافة والى قيام الساعة .

وأمة هذا شأنها ، لا بد أن تتوجه التربية لديها الى صياغة الانسان المؤهل للقيام بأعباء الخلافة البشرية للأرض ، الانسان بمعناه الشمولي الواسع ، الانسان الجوهر الكامن في الأعماق البشرية ، الانسان من حيث هو انسان ، لا من حيث هو مواطن في هذه البقعة من الأرض ، وفي هذا الحيز المحدود من الزمن ، الانسان الذي لا تحصره حدود العنصر والقبيلة والوطن ، فتحجزه عن الانطلاق في رحاب هذا الكون الواسع ليؤدي رسالته الخالدة بما يحقق الخير والنماء للبشرية في كل زمان ومكان .

ان (صياغة الانسان الصالح) هي الغاية الكبرى لمنهج التربية في الاسلام ، ولكن : **ما هو السبيل لتحقيق هذه الغاية الكبرى ؟ كيف نتمكن من صياغة الانسان الصالح وفق المنهج الاسلامي في التربية ؟**

ان ذلك بلا شك يتوقف على تحقيق مجموعة من الغايات الرافدة لهذه الغاية الكبرى ، هي غايات رافدة الا أنها أساسية في ذات الوقت ، باعتبارها تحدد معالم الطريق وتوضح اتجاه المسار ، وأهم هذه الغايات :

١ ـ تعميق مفهوم العبودية لله : فأول غاية تحرص التربية الاسلامية عليها هي تعميق مفهوم العبودية لله وحده في نفس الانسان المسلم وشعوره وواقع حياته وسلوكه وتعامله ، ونفي كل عبودية سواها ، كأن تكون هناك عبوديات لأصنام يؤلهها البشر ، سواء كات أصناماً حجرية أم بشرية أم على صورة أفكار ونظريات باطلة يحمل الناس لها في نفوسهم معنى القداسة ، وهذا ما نلاحظه في غير المجتمعات الاسلامية .

وكل ذلك نتيجة الممارسة الخاطئة في مجال التربية ، اذ جعلوا غاية التربية عندهم تكوين المواطن الذي يكون صالحاً بمقدار ما يشعر به من قداسة تجاه هذه الأصنام . إن العبودية الحقة المنصرفة لله وحده ، وكل عبودية ليست متوجهة لله وحده عبودية باطلة ، ولهذا فان المسلم لا يصرف شيئاً من عبوديته لغير الله بحال : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا**

صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) [١]، ومتى انصرفت العبودية لله وحده ، شعر الناس بانسانيتهم الحقة اذ ليس في المجتمع آلهة وعبيد ، بل الكل عبيد متساوون أمام الواحد القهار ، أحرار لا تستذل رقابهم لأحد كائناً من كان غيره ، وهذا يبعث في الانسان الشعور بالعزة الحقيقية الصادقة ، فهو لا يركع الا لله ، ولا يطأطىء رأساً الا له ، وهذه الثمرة من أجمل ما تستطيع تربية أن تحققه اذ ينشأ بنتيجة ذلك جيل من البشر متساوون في الكرامة والعزة الانسانية ، لا يستذل بعضهم رقاب بعض ، وهو المعنى الذي عبر عنه الصحابي الجليل ربيع بن عامر حين قال لكسرى فارس : « جئنا لنخرجكم من عبادة العباد الى عبادة رب العباد » وهذا ما يفسر كون كلمة التوحيد الأساس الأول والهدف الكبير لرسالة الاسلام .

٢ ـ حماية الانسان من الخرافات والاعتقادات الساقطة : والتربية في الاسلام لا تكتفي بتعميق مفهوم العبودية لله في نفس الانسان وشعوره ومسارب حياته فحسب ، بل تضع له المنهج الراشد السديد الذي يستطيع به تحقيق هذه العبودية على الوجه الأكمل والأصوب ، وهو المنهج الذي عبر عنه شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله :

(وجماع الدين أمران : أن لا نعبد الا الله ، ولا نعبده الا بما شرع ، لا نعبده بالبدع) [٢]، فالمنهج القويم لا يكون الا بالبعد عن كل ألوان البدع المحدثة التي نهانا رسول الله ﷺ عنها وحذرنا منها بقوله : « اياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » .[٣]

وعبادة الله بما شرع لا تكون الا بالتزام كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، وهذا المنهج كاف لحماية الانسان وصونه عن أن يكون نهباً للبدع والخرافات والأساطير والاعتقادات الفاسدة ، وهذا ما نلاحظه في كثير من الأمم بسبب بعدها عن منهج الله وشرعه .

وقد أشارت الصحف كثيراً في السنوات الأخيرة الى انتشار بدعة جديدة في عالم الغرب عالم البدع المتلاحقة ، وهي بدعة الايمان بالاله (كريشنا) ، فقد فشلت الكنيسة في توفير أدنى درجة من درجات اليقين الغيبي لدى الناس فراحوا يبحثون عن معبودات يخترعونها متبعين كل ناعق من دون أدنى تثبت أو تمحيص . فماذا أفادتهم أساليب البحث العلمي التي يتبجحون بأنهم أهلها وروادها ؟ أليس من العار أن يتعاملوا مع الجمادات بأسلوب مجرد نزيه ، واذا أرادوا التعامل مع الانسان والكون والحياة تردوا في هاوية الخرافة والأساطير .

ان منهج التربية في الاسلام منهج واقعي ، فهو يضع للانسان المنهج الذي به يستطيع حماية نفسه وصونها من الانزلاق . فالتربية المسلمة توفر السياج المنيع الذي يعصم المسلم من التردي أو السقوط ، وفي هذا صون لانسانية الانسان ، وتوفير لكرامته من أن تخدش أو تهان .

٣ ـ الجمع بين الدنيا والآخرة : ومن المعلوم أنه ليس هناك انفصام بين الدنيا والآخرة وفق المنظور الاسلامي ، بل أن بينهما تلازماً بحيث لا يتصور بعده امكانية وجود مثل هذا الانفصام بحال من الأحوال ، قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون** ﴾ [٤]، فقد بينت هذه الآية أن الغاية من خلق الانسان العبادة ، ومفهوم العبادة في الاسلام لا يقتصر على الشعائر التعبدية الظاهرة كالصلاة والصوم والحج والزكاة ، كما يخيل الى البعض ، فهذا تقسيم أحدثه الفقهاء فيما بعد العصور الأولى من تاريخ الاسلام ، والأصل أن الاسلام كل شامل متكامل متلازم ، فلا حواجز بين أحكامه وعقائده وأخلاقياته وشعائر العبادات فيه ، وقد أحدث هذه التفريقات الفقهاء في عصور تالية بهدف التيسير ، وان ظهرت لهذا عواقب غير محمودة فيما بعد ، اذ صار بسببها يشعر بعض الناس أن مفهوم العبادة قصرٌ على الصلاة والصوم والحج والزكاة .

أما الأخلاق والمعاملات فقلَّ من لا يزال يحس أن مفهوم العبادة يشملها . والحق أن كل ما يصدر عن المسلم من قول أو فعل وما يقر في نفسه من اعتقاد هو عبادة لله بشرط أن يتحقق في ذلك كله شرط العمل الصالح : أن يكون خالصاً لوجه الله ، وأن يكون صواباً موافقاً لما شرع الله ، فطلب العلم عبادة ، وزيارة المسلم لأخيه المسلم في الله عبادة ، وتبسمه في وجهه عبادة ، وغرسه فسيلة في أرض جرداء عبادة ، وإماطته الأذى عن الطريق عبادة ، واتصافه بخلق الحياء عبادة .

وبهذا المعنى فان التربية في الاسلام ـ حين تسعى لتعميق مفهوم العبودية لله وتثبيت مفهوم العبادة الصادقة في نفوس أبناء المجتمع المسلم ـ تحقق غرضين معاً : غرضاً أخروياً ، وآخر دنيوياً في الوقت نفسه .[٥] وهذا ما تفيده الآية الكريمة : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ [٦]، فالمسلم يستشعر في قرارة نفسه وهو يؤدي أعماله الدنيوية البحتة من حراثة الأرض وزراعتها ، واستخراج ما في باطن الأرض وصناعته أنه يبتغي بذلك وجه الله ، وأنه يحقق ما كلفه الله به من عمارة الأرض .

وهو أيضاً حين يؤدي أكثر الأعمال التصاقاً بالآخرة من صلاة وصوم وحج مثلا ، يستشعر أن لهذه الأعمال التعبدية مردوداً دنيوياً يستقيه من قوله تعالى : ﴿ **ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾[٧] وقوله تعالى : ﴿ **وان تصوموا خير لكم** ﴾ .[٨]

---

١ ـ سورة الكهف آية (١١٠) .
٢ ـ كتاب (العبودية) لشيخ الاسلام ابن تيمية ـ ص ١٧٠ .
٣ ـ رواه مسلم في كتاب الجمعة ٤٣ ، وأبو داوود في كتاب السنة ٥ ، وأحمد ٣١٠/٣ ، وابن ماجة في المقدمة ٦ .

٤ ـ سورة الذاريات آية (٥٦) .
٥ ـ الطفل في الشريعة الاسلامية ـ د. محمد أحمد صالح ، ص (٣٥١) وان جاء طرحه لهذه الفكرة مبتسراً وغير موف بالغرض .
٦ ـ القصص (٧٧) . ٧ ـ العنكبوت (٤٥) . ٨ ـ البقرة (١٨٤) .

وهذا الشعور يولد في نفس المؤمن الاطمئنان لأنه يقوم بما تتطلبه الحياة على أكمل وجه ، في حين لا تغيب الآخرة وحسابها وما فيها من جنة ونار عن شعوره لحظة واحدة ، وهو الأمر الذي يجعل المسلم انساناً خالياً من العقد ، على عكس انسان المجتمعات الأخرى اذ هو انسان يخدم دنياه بأكثر مما تتطلبه منه ، في حين انسحبت الآخرة عن مجال ذهنه وشعوره وتفكيره البتة . وهذا الخواء الروحي الرهيب كثيراً ما يؤدي به الى انحرافات مروعة ، وكفانا أن نذكر أن أكثر دول العالم المعاصر تحضراً وتمتعاً بمعطيات الحياة هي دولة السويد ، ومع ذلك فهي أكثر دولة في العالم تعاني من انتشار جريمة الانتحار ، لأن الناس فيها شعروا أنهم غبوا من متع الحياة حتى اتخموا ، فماذا عليهم بعدُ أن يفعلوا وأرواحهم وقلوبهم خواء ؟ اذن فلينهوا حياتهم بأيديهم ، وهذا ما يكون .

من هنا كان من المميزات التي تتميز بها التربية الاسلامية أنها تضع في مناهجها المواد التي تخدم في الانسان انسانيته وروحه ، قبل المواد التي تخدم ماديته ، فدراسة العلوم الدينية والمعارف الانسانية توفر الغذاء الروحي المطلوب ، ثم تأتي المواد التطبيقية أو العملية البحتة لتوفر له متطلبه الحياتي .. ومن هنا نشأ التوازن في حياة الانسان المسلم ، فلا تغليب لجانب على آخر ، بل تكامل واتساق وترابط ، وهو الأمر الذي يعبر عنه بالقول المشتهر على الألسنة : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »[9] وهو المعنى نفسه الذي عبر عنه جرير حين مدح الخليفة عمر بن عبدالعزيز بقوله :

فلا هو في الدنيا مضيعٌ نصيبه
ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

٤ ـ تمكين الأواصر الأسرية : ومن منطلق أن المجتمع المسلم ينقسم في تكوينه خلايا ثلاثا : الفرد ـ الأسرة ـ المجتمع ، فقد أولت التربية الاسلامية الأسرة عنايتها البالغة ، وجعلت من غاياتها الأساسية تمكين الأواصر والروابط الأسرية في المجتمع والمحافظة عليها ومساعدتها على أدائها لوظيفتها في بناء المجتمع على خير وجه وأكمله ، لأن المجتمع ليس الا مجموع الأسر التي تكونه ، وهي لبناته التي يقوم عليها ، وينمو بها ، ويحصل له منها الامتداد الأفقي حتى يصير شعباً ، والرأسي حتى يظل تاريخاً لمن جاء بعده .[10]

فهدف التربية الاسلامية وضع أفراد الأسرة جميعهم في بوتقة تنصهر فيها صفات الأثرة والأنانية ، وتذوب صفات الغلبة والقهر حتى تتبخر من حياتها ، وهذا ما يهدف اليه القرآن والسنة ، وهما المنبع والموجه لكل اتجاهات التربية في المجتمع المسلم ، فالقرآن يقول للرجل أن المرأة منك ولا غنى لحي عن جزئه ، وللمرأة أنك من الرجل فهو أصلك ولا غنى للانسان عن أصله : ﴿ **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها** ﴾ ،[11] وهو يقول للولد عليك بطاعة والديك والاحسان اليهما ما استطعت : ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا** ﴾ .[12]

وحمّل الاسلام الآباء والأمهات مسؤولية كبرى في تربية الأبناء واعدادهم الاعداد الكامل لحمل أعباء الحياة ، وتهددهم بالعذاب الأكبر اذا هم فرطوا أو قصروا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ .[13] وبذا ضمن الاسلام وجود أسرة متكافلة متضامنة على أداء دورها في المجتمع خير أداء . والأمر لا يقف بالتربية المسلمة عند حد تكوين الأسرة الصالحة ، بل تعدى ذلك الى الأقارب والجوار ، لتحقق الأسرة امتداد جذورها وتفريع أغصانها وسط محيط مأمون مستقر ، ولكي يؤمن لها الرديف المساعد في الحياة : ﴿ **وآت ذا القربى حقه** .. ﴾[14] ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا وبذي القربى** ﴾ .[15]

هذا بالاضافة الى أن صلة الرحم تزيد في العمر وتوسع في الرزق ، وتدفع عن الواصل ميتة السوء ، وتكفر الخطايا ، بل وتدخل الجنة لأنها شعار الايمان ، وقد قال ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما « لا يدخل الجنة قاطع رحم »[16] وكذا حق الجار لقوله عليه السلام : « والله لا يؤمن ـ ثلاث ـ قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه » .[17]

ولا يخفى على ذي بصيرة أن الولد اذا نُشّيء منذ الصغر على حب ذوي قرباه واحترامهم ومودتهم ، نشأت فيه منذ نعومة اظفاره محبة الآخرين ، مما يوسع من دائرة أفقه بالتعامل معهم ، ويضمن له الترعرع في ظل جو اجتماعي متحاب متعاون حميد .

٥ ـ تحقيق الشعور بالتميز : ومن أهداف التربية في الاسلام تكوين جيل متميز ، ذلك أن المسلم بطبعه متميز عن غيره بأخلاقه وسلوكه وفلسفته للكون والحياة وطريقة تعامله مع الأشياء المحيطة به ، وهذا التميز يكسبه الشعور بالرضا ، وهو ما عبر عنه سيد قطب ـ رحمه الله ـ بقوله : « ان الدين هو الأعلى سنداً وجوهراً ومصدراً ، وهو الأعلى ادراكاً وتصوراً لحقيقة الوجود ، وهو

---

٩ ـ ليس هذا القول بحديث شريف كما هو شائع ، وقد ذكره ابن قتيبة موقوفاً على عبدالله بن عمر في كتاب (غريب الحديث) وابن المبارك في كتاب (الزهد) موقوفاً على عبدالله بن عمرو بن العاص ، وينسبه البعض للامام علي وليس بصحيح ، راجع سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ١/٢٠ .

١٠ ـ الأسرة في نظر الاسلام / أحمد عطية نمر ، مقال في مجلة البلاغ الكويتية العدد (٥٧٣) .

١١ ـ الأعراف (١٨٩)   ١٢ ـ الاسراء (٢٤) .

١٣ ـ التحريم (٦) .   ١٤ ـ الاسراء (٢٦) .   ١٥ ـ النساء (٣٦) .

١٦ ـ رواه البخاري في كتاب الأدب باب اثم القاطع ٣٤٧/١٠ ، مسلم في كتاب البر باب صلة الرحم رقم (٢٥٥٦) وأبو داوود في كتاب الزكاة باب صلة الرحم رقم (١٦٩٦) .

١٧ ـ رواه البخاري في الأدب باب اثم من لا يأمن جاره بوائقه ٣٧١/١٠ ، ومسلم في الايمان باب تحريم ايذاء الجار ٤٦ .

الأعلى ضميراً وشعوراً وسلوكاً وهو الأعلى شريعة ونظاماً ، وهو الأعلى تصوراً للقيم والموازين التي توزن بها الحياة والأحداث والأشخاص » .[١٨]

وشعور المسلم بالتميز مطلب أساس من مطالب الشريعة الاسلامية الغراء ، وتطبيق هذا المبدأ في حياة المسلم يبعده عن أن يكون مقلداً لغيره ويعطيه الشعور بالعزة الذاتية ، فالمسلم لا ينبغي أن يكون إمّعة أو ذيلا ، بل هو قائد مسيرة البشرية على مدار التاريخ : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ ،[١٩] ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾ .[٢٠]

٦ ـ تعميق فكرة الجمال من خلال المنظور الاسلامي :

وتهدف التربية الاسلامية الى تعميق فكرة الجمال في شعور المسلم واحساسه ، ذلك أن العلاقات الانسانية كلها في الاسلام توشك أن تكون نابعة من قيم الجمال والخير ، لأن مجمل هذه العلاقات تتمثل في علاقة الانسان بنفسه أو بالآخرين ، وعلاقته بالكون وبالله ، ومالم تكن هذه العلاقات جميعها مبنية على أسس جمالية شاملة فان صرحها المهتز يوشك باستمرار أن يؤول الى مزيد من التداعي حتى الانهيار ، كما يقول الدكتور محمد أحمد العزب .[٢١] وهذا ما يفسر اكثار القرآن من لفت نظر المسلم الى ما في هذا الكون الواسع الفسيح من أناشيد الطبيعة ولوحات الجمال ، مستثيراً أروع ما في النفس الانسانية من تشوق الى روعة الخلق ، ومحركاً إياها تعشق الجمال ، مما يرتقي بالنفس من مستوى تأمل الجمال الى مستوى التسبيح الفاهم بآلاء خالق الكون والطبيعة : ﴿ **أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** ﴾ .[٢٢]

فهذه اللوحات الجمالية الباهرة ليست بأكثر من معارج الى الله ، ليتعرف الانسان بواسطتها على خالقه ، ويضع يده وعينه على بديع صنعه :

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه الواحد

كان الغربي ينظر الى العلاقة بينه وبين الطبيعة على أنها علاقة قهر وتحطيم ، فان التربية الاسلامية ترمي الى أن تربي في شعور المسلم أن علاقته مع الطبيعة هي علاقة مودة وتآخ وتسخير ، وبهذا وحده نستطيع أن نفسر حديث الرسول ﷺ : « أحد جبل يحبنا ونحبه » ،[٢٣] وقوله تعالى : ﴿ **وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ ،[٢٤] فاذا كانت هذه الموجودات تشاركه العبودية لله الواحد القهار ، فكيف لا يقيم معها علاقة مودة ومحبة ووئام ؟ هذا هو شأن المسلم دائماً : انسجام بين جسده وعقله وعاطفته وروحه ، وانسجام بين دنياه وآخرته ، وانسجام بينه وبين أسرته ومجتمعه والانسانية ، وانسجام وتآلف بينه وبين الطبيعة من حوله ، انه الانسان المنسجم .

٧ ـ الانسجام في التكوين : ويتبع هذا كله انسجام في التكوين ، فالتربية في مجتمعنا المسلم تهدف الى اعداد الانسان اعداداً جسدياً سليما من منطلق : (المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) ،[٢٥] واعداده اعدادا عقلياً سليما على اعتبار أن العقل من أجل نعم الله على الانسان ، وهو الواسطة التي بها يستطيع التعرف على خالقه ، واعداده اعداداً عاطفياً سويا بحيث تكون الغلبة فيه لعواطف الخير والمحبة والجمال ، وبحيث تتعايش هذه العواطف بين جوانحه باتساق ووئام ، دون تضخيم لعاطفة على حساب أخرى ، هذا مع الاعداد الأهم والأولى وهو الاعداد الروحي . بهذا الانسجام في التكوين يستطيع الانسان المسلم أن يقف في الحياة طوداً شامخاً لا تهده المصائب ، ولا تزعزعه الملمات .. قادراً على مواجهتها برباطة جأش وعزم لا يلين .

هذا الانسجام الذي تهدف التربية الاسلامية الى تحقيقه ، تفتقده أغلب مناهج التربية الوضعية ، فنحن نذكر كيف أن الرومان غلّبوا جانب التربية الجسدية على بقية الجوانب ، فأدى ذلك الى تكوين جيل من البشر يستلذ مشهد الدماء المتدفقة من إخوانهم على حلبات مصارعة الثيران ، وكيف أن التربية الغربية غلّبت جانب العقل ، فكانت النتيجة جيلا من البشر يشك في كل شيء ، وينكر كل شيء إن لم يضع يده عليه ويحسه بحواسه ، حتى وصل بهم الأمر أن أنكروا خالقهم ومودع العقول فيهم .

هذه التربية ـ وأقصد التربية الاسلامية ـ تستطيع الوصول الى الانسان المتوازن جسداً وعقلا وعاطفة وروحاً ، فهو ليس بالانسان الذي لا يجيد سوى البطش والصرعة والانتقام ، فغدا بذلك وحشاً كاسراً وحيواناً شرساً جعل عقله وقلبه طوع يده وقدمه ، وهو ليس بالانسان الذي يؤله العقل فينكر كل منقول ولو كان ساطع اليقين والثبوت سطوع الشمس رابعة النهار ، وهو ليس بالانسان الذي تتحكم به عواطفه فألغى عقله ليصير ريشة تتقاذفها الريح ، كما أنه ليس بالانسان الذي ادعى روحانية طاغية فانقلب شبحاً صوفياً هائماً في عالم خيالاته وأوهامه وخرافاته ، ان الانسان المسلم الذي تسعى التربية الى صوغه هو الانسان المتناسق التناسق الذي يكسبه الكمال .□

---

١٨ ـ معالم في الطريق ـ سيد قطب (١٦٣/١٦٦) .

١٩ ـ آل عمران (١١٠) .   ٢٠ ـ البقرة (١٤٣)

٢١ ـ الجمال من المنظور الاسلامي ـ محمد أحمد العزب ـ مجلة الدعوة السعودية ، العدد (٩١٥) .

٢٢ ـ سورة ق آية (٦ ،٧ ،٨) .

٢٣ ـ أخرجه البخاري في فضائل المدينة باب حرم المدينة ٦٩/٤ ، ومسلم في الحج باب فضل المدينة رقم (١٣٦٥) ومالك في الموطأ كتاب الجامع باب ما جاء في أمر المدينة رقم (١٦١٠) .

٢٤ ـ الاسراء (٤٤) .

٢٥ ـ رواه مسلم في القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز رقم (٢٦٦٤) .

الجُسيمات والقوى الأساسيّة

بقلم: الأستاذ عبد الوهّاب سُليمان الشرّاد - الكويت

سعى العديد من العلماء والفلاسفة على مر التاريخ لفهم طبيعة المادة وصفة تركيبها ، وجرت محاولات عديدة لبلوغ ذلك ، على أنه يمكن القول ان البداية الحقيقية لذلك كانت في ١٨٠٣م عندها أشار جون دالتون الى حقيقة أن المركبات الكيميائية تتركب دائماً من نسب محددة يمكن تبينها من تجمع الذرات مع بعضها لتكون وحدات تعرف بالجزيئات .

وفي السنين الأولى من هذا القرن حدثت طفرة أخرى عظيمة عندما برهن البرت آينشتاين في ١٩٠٥م على امكانية تفسير الحركة البراونية[١] على أنها ظاهرة تصادم الذرات الموجودة في سائل مع جسيمات الغبار به ، وقد كان يفترض في ذلك العهد أن الذرات غير قابلة للتجزئة . وقبل ذلك بسنين أثبت ج. تومسون أن للمادة جزيئاً يدعى الالكترون وأن له كتلة تقل عن كتلة أخف الذرات بنحو واحد من جزء من الألف ، وقد أمكنه من خلال نظام أشبه بصمام التلفاز الحديث اثبات أن الالكترونات تنطلق من الذرات . وفي ١٩١١م برهن ارنست رذرفورد أن للذرات في المادة تركيباً داخلياً ؛ فهي تتكون من نواة دقيقة جداً ولها شحنة كهربائية موجبة يدور حولها عدد من الالكترونات . وقد أمكنه بلوغ هذا الاستنتاج بتحليل الطريقة التي تنحرف بها جسيمات ألفا وهي جسيمات موجبة تنطلق عند اصطدام الذرات مع الأخرى المشعة .

وكان يعتقد أن نواة الذرة تتكون من الالكترونات ومن عدد مختلف من جسيمات موجبة الشحنة تعرف بالبروتونات وتشكل أساس المادة ، ولكن في ١٩٣٢م اكتشف جيمس تشادوك أن النواة تحتوي على جسيم آخر يدعى النيوترون وأن له تقريباً كتلة البروتون ولكنه عديم الشحنة الكهربائية .

وافترض البعض أن البروتونات والنيوترونات هي جسيمات أولية ، ولكن تبين بعد اجراء التجارب على تصادم البروتونات مع مثيلاتها أو مع الالكترونات في السرعات الفائقة . ان هذه البروتونات أو الالكترونات تتكون في الواقع من جسيمات أدنى ، وقد أطلق عليها الفيزيائي ماريه مان (كواركات) .[٢]

وفي الطبيعة توجد أعداد متنوعة ومختلفة من الكواركات ، ويفترض أن هناك على الأقل ست « نكهات » تعرف بها ، وهي علوي وسفلي وغريب وفاتن وقاع وقمة . وتوجد لكل من هذه النكهات ثلاثة ألوان هي الأحمر والأخضر والأزرق .[٣] ويتكون كل بروتون أو نيوترون من ثلاثة كواركات ولكل كوارك لون محدد . ويكون للبروتون كوراكان علويان مع واحد سفلي . ويتكون النيوترون من كواركين سفليين وآخر علوي . وبامكان الانسان انتاج جسيمات تتكون من بقية الكواركات ، ولكنها تمتلك كتلة أكبر بكثير وتتحلل بسرعة الى بروتونات ونيوترونات .

وليس باستطاعتنا رؤية أجزاء الذرة بالطرق المعتادة ، وذلك لأن الطول الموجي للضوء أكبر بكثير من حجم الذرة ، ولذا

الشحنات على الجسيمات تحت الذرية

الجسيم	الشحنة
إلكترون	الشحنة : – ش
كوارك	الشحنة : – ٢/٣ الشحنة الالكترونية = ٢/٣ ش
كوارك	الشحنة : – ١/٣ الشحنة الالكترونية = ١/٣ ش
كوارك	الشحنة : – ١/٣ الشحنة الالكترونية = ١/٣ ش
النيوترون	الشحنة : + ٢/٣ ش – ١/٣ ش – ١/٣ ش = صفر
البروتون	الشحنة : + ٢/٣ ش + ٢/٣ ش – ١/٣ ش = ش

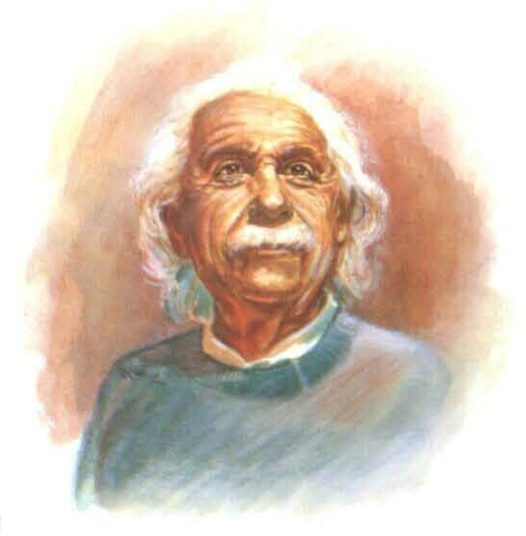
من المحتمل أن تكون جسيمات كالبروتون والنيوترون مؤلفة في الواقع من جسيمات متناهية الصغر . وقد سميت هذه الجسيمات بالفعل كواركات . وهنالك ثلاثة أنواع رئيسة من الكوارك تختلف كتلها اختلافاً ضئيلاً . وشحنة الكوارك تعادل ٣/٢ أو ٣/١ الشحنة الالكترونية .

---

١ – حركة الجسيمات الدقيقة من الغبار غير المنتظمة والعشوائية في السائل .

٢ – ترجع التسمية الى رواية جيمس جويس « ثلاثة كواركات » الى مستر مارك Mark وتلفظ على نمط لارك Lark » .

٣ – تستخدم الألوان للتمييز فقط ، فطولها الموجي ضئيل جداً وأصغر من الطول الموجي للضوء .



العالم البرت آينشتاين

نواتج الانشطار

يورانيوم ٢٣٥

نيوترون

تفاعل متسلسل في اليورانيوم ٢٣٥ . يتسبب نيوترون في انشطار ذرة يورانيوم ، فينتج عن الانشطار جسيمان بالاضافة الى نيوترونين جديدين أو ثلاثة .

فنحن بحاجة الى استخدام شيء له طول موجي صغير . ووفقاً لميكانيكا الكم[٤] فان كل الجسيمات عبارة عن أمواج ، ويؤدي ارتفاع طاقة الجسيم الى انخفاض الطول الموجي للموجة المماثلة . ولذلك فان مقدار طاقة الجسيم المطلوب هو الذي يحدد مقدار صغر مقياس الطول الذي يمكننا رؤيته ، وتقاس عادة طاقة الجسيمات بوحدات تعرف بالالكترون ـ فولت .[٥]

وقد ظهر من تجربة رذرفورد السابقة أن لجسيمات ألفا من الطاقة ما يعادل الملايين من الالكترون فولت ، ويمكن حالياً رفع طاقة هذه الجسيمات الى ملايين الالكترون فولت باستخدام مجالات كهرومغناطيسية ، وقد تبين أن الجسيمات التي كنا نفترض أنها أولية في الماضي انما تتكون من جسيمات أدنى ، ولأسباب نظرية علينا أن نفترض أننا قد بلغنا أو على وشك بلوغ معرفة بناء الطبيعة النهائي .

وباستخدام ثنائية الموجة/الجسيم[٦]، أي الطبيعة المزدوجة للمادة، في ميكانيكا الكم يمكننا وصف كل شيء في الكون بما في ذلك الضوء والجاذبية بدلالة الجسيمات ، وذلك لأنها تحمل خاصية تعرف بالغزل (Spin) فتدل الحركة المغزلية على شكل الجسيم من اتجاهات مختلفة . ويبدو الجسيم الذي غزله صفر من أي اتجاه نظر اليه ويشبه النقطة . أما الذي غزله واحد فيشبه السهم ويظهر مختلفاً من مختلف الاتجاهات التي ينظر بها اليه . ولا يظهر الجسيم نفسه الا اذا لفَّ دورة كاملة أي ٣٦٠ درجة . ويشبه الجسيم الذي غزله ٢ سهماً برأسين ، ويظهر اذا التف ١٨٠ درجة . وبالمقابل تظهر تلك التي غزلها لأعلى اذا لفت بكسور أصغر من الدورة الكاملة . وهناك أنواع تبدو اذا لفت دورتين كاملتين أي التي غزلها ٢/١ .

ومن خلال الموجز السابق يمكن القول ان كل الجسيمات المعروفة في الكون تنقسم الى مجموعتين ، جسيمات الغزل ٢/١ وتشكل مادة الكون . وجسيمات الغزل صفر وواحد واثنان . وتساعد تلك في ظهور القوى بين جسيمات المادة .

وتخضع الجسيمات لمبدأ باولي في الاستبعاد ، الذي ينص على أنه لا يمكن لجسيمين متشابهين أن يكونا في حالة واحدة ، أي لا يمكن أن يكون لهما نفس الموقع والسرعة ضمن حدود مبدأ الشك Uncertainty Principle .[٧] ويعد هذا المبدأ حاسماً لأنه يبين سبب عدم انهيار جسيمات المادة الى حالة كثافة عالية نتيجة تأثير القوى الناتجة من جسيمات المجموعة الثانية . ولو كان للجسيمات الموقع نفسه فانها يجب أن تمتلك سرعات مختلفة ، أي أنها لن تظل في نفس الموقع لفترة طويلة . ولولا هذا القانون الكوني ، لما تمكنت الكواركات من أن تشكل بروتونات ونيوترونات محددة ومنفصلة ، ولما تمكنت هذه جميعاً مع الالكترونات أن تكون ذرات محددة ومنفصلة ولانهارت جميعاً وكونت مزيجاً كثيفاً .

إن الفهم الحقيقي للالكترونات وسائر الجسيمات التي غزلها ٢/١ لم يتم الا في ١٩٢٨م عندما أظهرت ذلك نظرية بول دايراك P. Dirac ، وقد كانت الأولى من نوعها في تطابقها مع نظريتي ميكانيكا الكم والنسبية الخاصة ، وقد أظهرت رياضياً السبب في امتلاك الالكترون غزلا ٢/١ أي السبب في أنه لا يبدو اذا ما غزل بدورة كاملة وانما بدورتين ، كما تنبأت النظرية أيضاً بوجود مرافق للالكترون أو ما يعرف بالالكترون المضاد (البوزترون) ،

---

٤ ـ نظرية تطورت من مبدأ الكم لبلانك ومبدأ الشك لهايزنبيرغ .

٥ ـ الطاقة التي يحصل عليها الالكترون من المجال الكهربائي بمقدار واحد فولت .

٦ ـ مفهوم في ميكانيكا الكم ينفي وجود تميز بين الموجات والجسيمات .

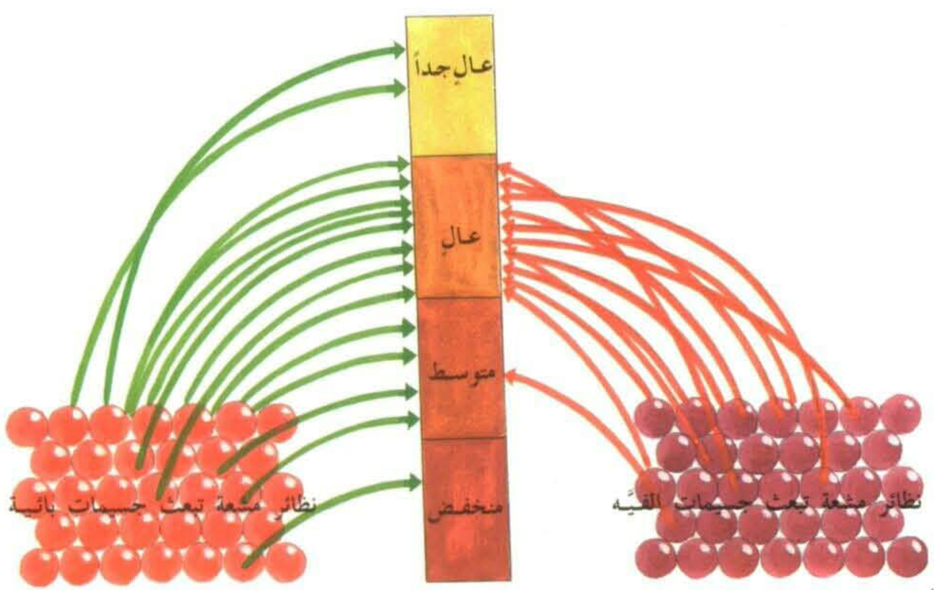
٧ ـ مفهوم يدل على عدم امكانية التيقن من موقع وسرعة الجسيم ، فكلما زادت معرفته بأحدهما قلت معرفته بالآخر .

وقد تأكد ذلك في ١٩٣٢م عندما اكتشف البوزترون ، وأظهرت الأبحاث أن هناك جسيماً مضاداً لكل جسيم ، يمكن أن يفنى معه ،[٨] وتشير الدلائل الى أن أعـداد الجسيمات يفوق عدد أضدادها .

ورغم أنه يفترض أن تنتقل كل القوى أو التفاعلات بين الجسيمات وفقاً لميكانيكا الكم من خلال جسيمات صحيحة الغزل ، الا أن الذي يحدث في الواقع هو أن جسيم المادة يبعث جسيمات ناقلة للقوة ويغير الارتداد الناشيء من الانبعاث سرعة الجسيم ، وهكذا يتصادم الجسيم الناقل للقوة مع جسيم مادة أخرى ويمتص ، ويغير هذا التصادم من سرعة الجسيم الثاني ، كما لو كانت هناك قوة بين الجسيمين .

ولا تخضع الجسيمات الناقلة للقوة لمبدأ باولي ، أي أنه لا يوجد حد للعدد الذي يمكن تبادله وبالتالي تبلغ قوة عالية جداً . واذا

٨ ـ ان الجسيمات المضادة في حالة الجسيمات الناقلة للقوة هي الجسيمات نفسها .

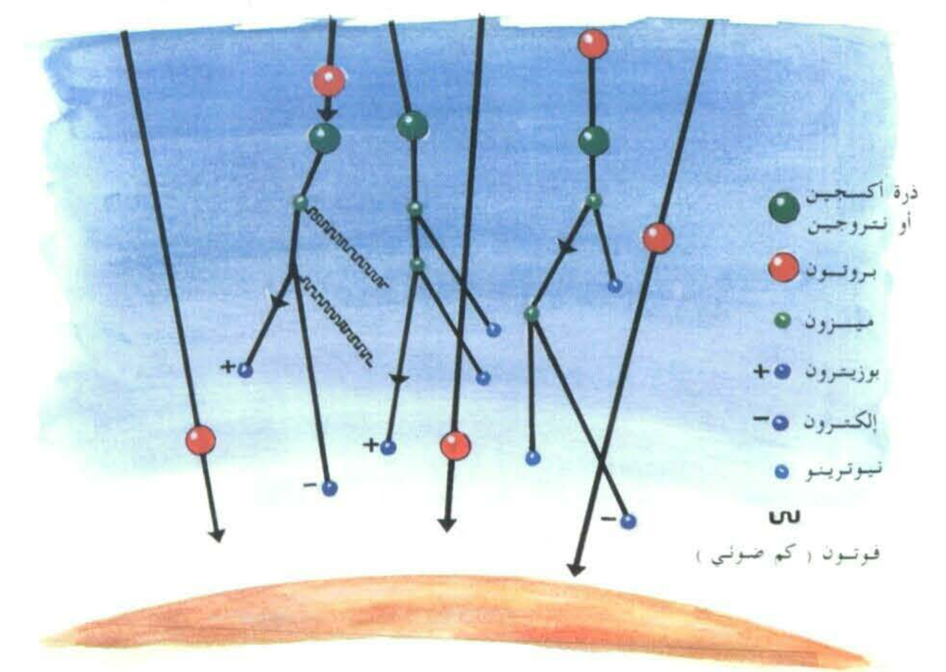


تختلف طاقة الجسيمات المنبعثة من النظائر المشعة المختلفة الى حد بعيد . وفي حال تساوي الطاقة في جسيم ألفي وجسيمة بائية تتميز الجسيمة البائية بقدرة اختراقية أشد بنفاذها عبر قطعة معدن أما الجسيم الألفي فتوقفه قطعة معدن رقيقة .

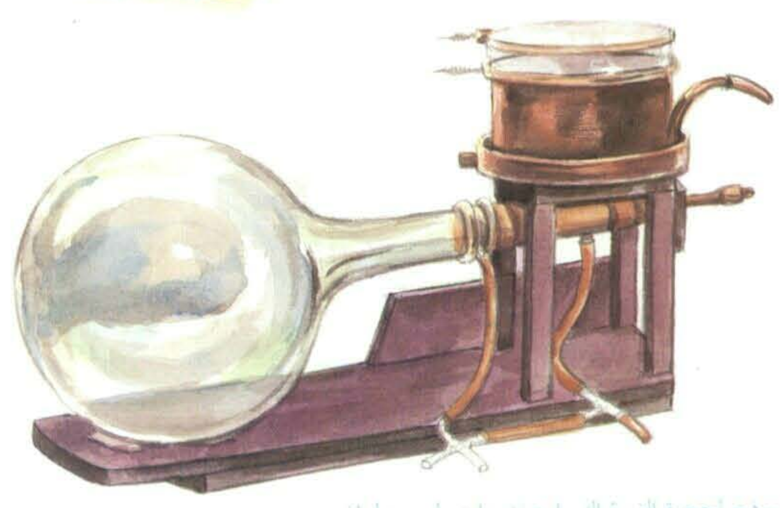
جزء من مسارع البروتونات في المركز الأوروبي للأبحاث النووية بجنيف . للحصول على بروتونات عالية الطاقة تزاد سرعتها الى درجة عالية جداً بوسائل كهربائية .

ع. قباني

كان لهذه الجسيمات كتلة ضخمة فانه يصعب توليدها وتبادلها لمسافة طويلة ، ويكون لها مدى طويل في حالة افتقادها الكتلة الخاصة . ويطلق على الجسيمات الناقلة للقوة التي تستبدل بين جسيمات المادة الافتراضية Virtual لأنها بخلاف الحقيقية Real لا تكتشف مباشرة ، رغم أنها تؤدي الى ظهور القوى بين الجسيمات في المادة . وتظهر جسيمات الغزل الصحيح أحياناً مثل الجسيمات الحقيقية ويمكن كشفها مباشرة ، وتبدو آنذاك على هيئة أمواج ، مثل أمواج الضوء أو الجاذبية . ويمكن أن تنبعث الأمواج مع تفاعل الجسيمات مع بعضها نتيجة تبادل الجسيمات الافتراضية الناقلة للقوة .



تتألف الأشعة الكونية في الفضاء الخارجي بشكل رئيس من البروتونات وتحوي بعض الجسيمات الألفية . تصطدم هذه الجسيمات بالجزيئات في الهواء فتولد جسيمات أولية أخرى . إن مصدر الأشعة الكونية لا يزال مجهولاً ، ويحتمل أن يكون مصدرها نجوماً متفجرة في الفضاء الخارجي .



نموذج لحجرة الغيمة التي استخدمها « ولسن » لبيان مسارات الجسيمات الأولية في غاز مشبع ببخار الماء .

وعادة تصنف القوة الناقلة للجسيمات الى أربع فئات حسب شدة القوة التي تنقلها الجسيمات التي تتفاعل معها ، ولا شك أن الغاية من هذا التصنيف هي ايجاد نظرية موحدة قادرة على تفسير القوى الأربع على أنها وجوه مختلفة لقوة واحدة ، ورغم ذلك فلقد أمكن توحيد ثلاث منها . وفيما يلي موجز للقوى الأربع في الطبيعية .

تمثل القوة الأولى الجاذبية ، وهي قوة كونية وبها يتأثر كل جسيم بقوة الجاذبية اعتماداً على كتلته أو طاقته . وتعتبر الجاذبية أضعف القوى على الاطلاق ، ورغم صعوبة رصدها الا أنها تمتاز بخاصتين هما قدرتها على العمل لمسافات بعيدة ، وكونها جاذبة باستمرار . وذلك يعني أن قوى الجاذبية الضعيفة جداً بين الجسيمات الفردية في أي جسيمين كبيرين كالأرض والشمس يمكن جمعها لتنتج قوة مميزة . وتبدو هذه القوة من وجهة نظر ميكانيكا الكم في نطاق الجاذبية كما لو كانت محمولة على جسيم غزله ٢ يعرف بالجرافيتون ، وهو عديم الكتلة ، وعليه فان القوة التي ينقلها من النوع بعيد المدى . وقوة الجاذبية بين الأجرام تؤول الى تبادل الجرافيتونات بين الجسيمات التي تتكون منها ، ورغم أن الجسيمات المتبادلة من النوع الافتراضي إلا أنها تنتج تأثيراً يمكن قياسه ، فهي التي تجعل الأرض تدور حول الشمس . ويشكل الجرافيتون الحقيقي ما يطلق عليه موجات الجاذبية ، وهي ضعيفة للغاية .

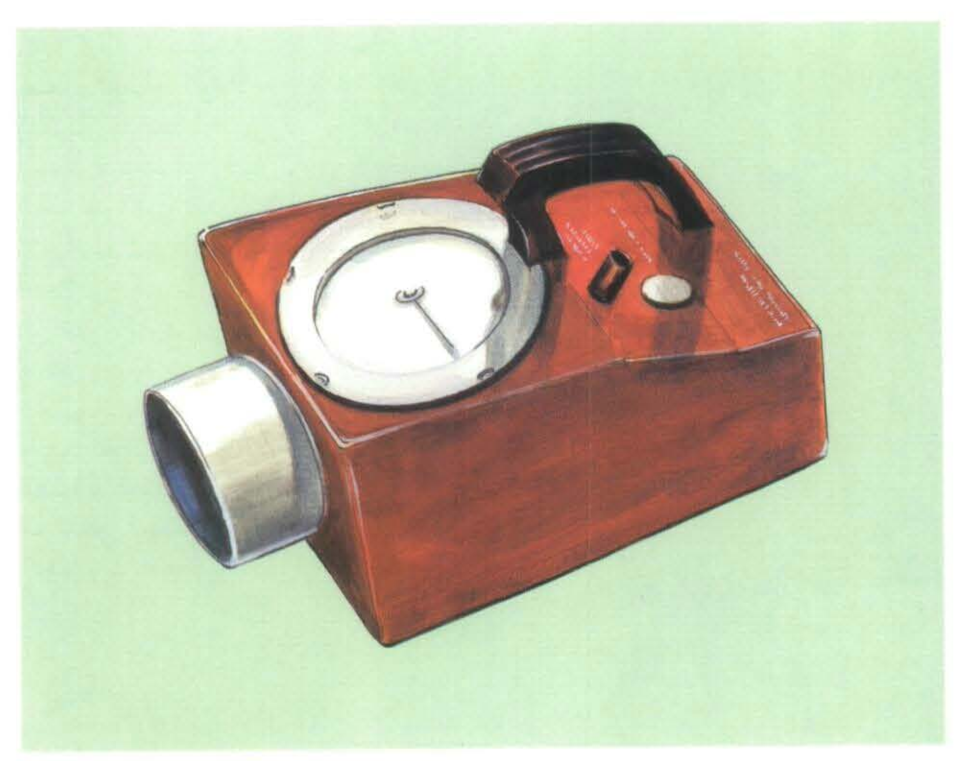
وتدل القوة الثانية على الكهرومغناطيسية التي تتفاعل مع الجسيمات المشحونة كهربائيا ، ولا تتفاعل مع الجسيمات عديمة الشحنة ، وهي أعظم من سابقتها ولها نوعان من الشحنات : الموجبة والسالبة . وتكون القوة بين شحنتين موجبتين أو سالبتين نافرة ، وجاذبة عند اختلافهما . وتحتوي الأجرام السماوية على عدد متعادل تقريباً من الشحنات ، ولذلك تكاد القوى بين الجسيمات المنفردة تفني بعضها ، وعليه تبقى قوة ضئيلة جداً . ولكنها تهيمن في حالة المقاييس الصغيرة للذرات وللجزيئات ، وتعمل بين الالكترونات والبروتونات في النواة على دوران الالكترونات حول النواة ، وذلك تماماً مثلما يعمل التجاذب التثاقلي Gravitational Attraction على دوران الأرض حول الشمس .

ان التجاذب الكهرومغناطيسي يبدو

كأنه ناتج من تبادل أعداد كبيرة من الجسيمات الافتراضية عديمة الكتلة التي غزلها واحد والتي تعرف بالفوتونات . ورغم ذلك يؤدي انتقال الالكترون الى مدار أقرب الى النواة الى تحرر طاقة وانبعاث فوتون افتراضي يمكن ملاحظته . وبنفس الطريقة فان تصادم فوتون حقيقي مع الذرة يمكن أن يحرك الالكترون بعيداً عن النواة ، ويستنفد هذا الفعل طاقة الفوتون وبالتالي امتصاصه .

وتكون القوة الثالثة النووية الضعيفة مسؤولة عن النشاط الاشعاعي وتعمل وفقاً لكل الجسيمات التي غزلها ٢/١ ، ولم يتم فهمها بشكل صحيح الا في ١٩٦٧م عندما افترض بعض العلماء نظريات لتوحيد التفاعل مع القوة الكهرومغناطيسية ، من خلال افتراض أنه بالاضافة الى الفوتون ، فان هناك ثلاثة جسيمات لها غزل « واحد » ، وتعرف جميعاً « بالبوزونات عظيمة معامل الكتلة » وهي الناقلة للقوى الضعيفة . كما تعرض النظرية لخاصية تحطم التماثل التلقائي Spontaneous S. B. ، أي أن ما يظهر وكأنه جسيمات مختلفة تماماً لطاقات منخفضة هي في الواقع كانت لنفس الجسيمات ولكن بحالات مختلفة ، وتتصرف جميعاً في الطاقات العالية بشكل متشابه . ولا بد من الاشارة هنا الى أنه قد أمكن التحقق من تطابق تنبؤات النظرية الأخرى في الطاقات المنخفضة مع التجربة .[٩]

وتمثل القوة الرابعة القوة النووية الشديدة التي تشد الكواركات لبعضها في البروتون والنيوترون ، وتشد البروتونات والنيوترونات لبعضها في النواة . ويفترض أنها تحمل بواسطة جسيم غزله واحد يعرف بالغلون Gluon ، ولا يتفاعل الا مع نفسه ومع الكواركات فقط ، وتمتاز هذه القوة بخاصية غريبة تدعى المقصورة Confine-ment تربط الجسيمات دائماً في مجموعات ثلاثية أو ثنائية عديمة اللون ، ولذا لا يمكن الحصول على كوارك منفرد بذاته لأنه سيمتلك لوناً (أحمر أو أخضر أو أزرق) ، والربط بينها يكون بوتر String من الغلونات .



عداد « جيجر » جهاز للكشف عن المواد المشعة ، وبواسطة نبضاته المسموعة يمكن عد الجسيمات الألفية أو البائية المارة عبره . يحوي عداد جيجر غازاً منخفض الضغط يؤيّنه الاشعاع العابر ، وتؤثر الأيونات الناتجة في توليد فلطية في الدائرة الالكترونية المتصلة بالعداد . وكل نبضة فلطية تمثل عبور جسيم واحد .

وتعرف المجموعات الثنائية بالميزونات وهي جسيمات غير مستقرة لأن الكوارك ومضاده يمكن أن يفنيا بعضهما ، وينتجا الكترونات وجسيمات أخرى . وتمنع المقصورة بنفس النمط وجود الغلون بمفرده ، لأن لها ألواناً أيضاً ، وتشكل مجموعاتها جسيماً غير مستقر يعرف بالغلوبول Glueball . ورغم ذلك تبدو الكواركات والغلونات جسيمات شبه غيبية ، وتحدد مفهومها خاصية أخرى لهذه القوة تعرف بالحرية المقارنة .

وهذه القوة تكون شديدة بالفعل في الطاقات المعتادة حيث تربط الكواركات ببعضها . وقد دلت التجارب في معجلات الجسيمات الكبيرة أنها تضعف جداً في الطاقات العالية . وتتصرف الكواركات والغلونات كما لو كانت حرة .

لقد أدى نجاح توحيد القوتين الكهرومغناطيسية والنووية الضعيفة الى محاولة ضمهما مع القوة النووية الشديدة فيما يعرف بالنظرية الموحدة العظمى Gut ، والتي تنص على امكانية ضم القوى الثلاث السابقة عند طاقة عالية جداً ، أي أنها ستكون ثلاثة أوجه مختلفة لقوة واحدة .[١٠]

وكانت توقعات النظرية هي أن البروتونات التي تشكل معظم كتلة الكون الاعتيادية ستتلاشى ذاتياً الى جسيمات أخف وزناً كالالكترونات المضادة ، ويرجع سبب ذلك لكون الكوارك والالكترون المضاد لا يوجد بينهما فرق جوهري في طاقة التوحيد العظمى . وقد تكون مشاهدة تلاشي البروتون ذاتياً — رغم صعوبتها الشديدة — مما يساعد على فهم كيفية ظهور الكون الذي جاء نتيجة عملية عكسية وهي انتاج البروتونات (أو الكواركات) من الحالة الأولية التي كان بها عدد الكواركات لا يزيد عن عدد مضاداتها ، وذلك وفق مشيئة رب العزة والجلال خالق السماوات والأرض □

٩ — لقد وضع شيلدون غلاشو نظريات مماثلة .

١٠— لا تشمل النظرية الجاذبية ، كما أنها ستجعل جسيمات الغزل ٢/١ نفسها .

تطور الدلالة في اللغة

بقلم : الأستاذ إبراهيم بن محمد السلوم - عنيزة

دلالة أي لفظ هي ذلك المعنى الذي ينصرف اليه هذا اللفظ في الذهن ، ليدل على ذلك المعني محسوسا او مدركا . ولا بد أن هناك تلازما بين اي كلمة ودلالتها ، ليتم التفاهم بين الناس ، ذلك ان لكل معنى لفظا يدل عليه ، وعلى ضوء ذلك يتم التفاهم به .

وتغير معاني الكلمات ظاهرة شائعة في جميع اللغات ، وهذا ما يسمى « تطور الدلالة » . « فتطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللغة واطوارها التاريخية »(١) .

وقد أكّد الدارسون لمراحل نمو اللغة واطوارها التاريخية تغير معاني الكلمات وتطو دلالتها ، وعلى هذا فاللغة أشبه ما تكون بكائن حي ، تخضع لما يخضع له هذا الكائن في نشأته ونموه وتطوره .

وفي اللغة العربية امثلة كثيرة لتطور الدلالة قديما وحديثا ، اذ ان معاني الالفاظ التي كانت تستخدم في عصر ما قبل الاسلام مثلا لم تبق ثابتة على حالها بعد مجيء الاسلام ، اذ لحقها تغيير وتبديل ، يقل ويكثر ، وهذا ما حصل ـ ايضا ـ في العصور التالية لذلك . « فقد توسع العرب في دلالات بعض الالفاظ ، فعبروا بذلك عن كثير من المعاني التي اقتضتها حياتهم الجديدة ، ولم يكن لهم بها الف من قبل وقد جرى هذا التوسع في نواح عدة »(٢) .

تطور الدلالة إذن يعد نتيجة حتمية لتطور المجتمعات وتبدلها وبالتالي حاجتها الى التجديدواضفاء معان جديدة على كلمات قديمة ، لتواكب حالة العصر الذي تستعمل فيه هذه الكلمات ، ولتفي بحاجة الحياة المتطورة .

ويمكن ان نعزو « تطور الدلالة » الى عاملين اساسيين لكل منهما عناصره ومقوماته . والعاملان هما :(٣) .

---

١ ـ دلالة الألفاظ . د. ابراهيم انيس . ص ١٢٣ ـ ١٩٨٠م .

٢ ـ في فقه اللغة . د. عبدالله ربيع ، عبدالعزيز لام . ص ١١٣ ـ ١٩٧٧م القاهرة .

٣ ـ انظر في هذا دلالة الالفاظ ص ١٣٤ وما بعدها .

الاستعمال[٤]

ذلك ان الالفاظ انما وجدت ليتداولها الناس فيما بينهم ، وليتبادلوا بها في حياتهم الاجتماعية ، ومع اشتراك الناس في تبادلها العام ، الا اننا نراهم يختلفون في حدودها التي تتغير كل يوم ، وتتنوع بتنوع التجارب والاحداث ، فاذا ورثتها الاجيال الناشئة واتخذتها للتعامل والتبادل ، لم ترثها على حالها الأولى ، بل ترثها مع بعض التبدل في الدلالة ، ثم يتسع ذلك التبدل على توالي الاجيال .

وأهم العناصر المؤثرة في تبدل الالفاظ من دلالاتها الأولى الى دلالات أخرى من جراء استعمالها هو سوء الفهم ، اذ حينما نسمع اللفظة نجدها تفهم على نمط معين مغاير لمفهومها الأصلي الذي وضعت له اصلا . ومن العناصر المؤثرة ايضا في تبدل الألفاظ ان تبلى الألفاظ ، مما يجعل اللفظة تغيب عن الاستعمال الأصلي لها ، فتتطور الى لفظة اخرى ربما تكون احيانا مخالفة لأصلها الأول ، او ان تبتذل اللفظة فلا يهتم بها نتيجة لعوامل سياسية او اجتماعية او عاطفية تطرأ على المجتمع ، فيأنف عن استعمال تلك الألفاظ التي كانت سائدة فيه من قبل .

الحاجة[٥]

الحاجة هي العامل الأساس الآخر لتطور دلالة الألفاظ ، اذ يكون ذلك التطور للدلالة وليد الحاجة الى التجديد في التعبير ، وهذا ما يقصد اليه قصدا ، ويتم عن عمد في تغيير الفاظ اللغة .

ويتم هذا النوع من التطور عادة على ايدي الموهوبين من اصحاب المهارة في الكلام من امثال الشعراء والأدباء ، كما قد تقوم به المجاميع او الهيئات العلمية حين تعوز الحاجة اليه ، وذلك لدوافع تحتمها حاجة المجتمع الى التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، فتحيا تبعا لذلك الفاظ قديمة كانت مهجورة ، او تولد الفاظ اخرى لم تكن معروفة ،لتفي بحاجة المجتمع . واحيانا اخرى تدعو الحاجة الى الالتجاء الى الفاظ تعرَّب من لغات اجنبية اخرى ، لتفي بحاجة المجتمع الى ذلك .

ولعل من الأمثلة الواضحة على تطور الدلالة في العربية ، ما اصاب بعض الفاظها من تغير في معانيها بعد ظهور الاسلام ، وما اكتسبته من معان جديدة فمثلا « كلمة الصلاة كانت فيما قبل الاسلام تعني الدعاء ، ثم اكتسبت بعد الاسلام دلالة جديدة هي « الصلاة » بصورتها المعروفة من ركعات وسجدات واقوال معينة ، وصار المسلمون لا يفهمون من لفظ الصلاة الا هذا المعني الشرعي ، وبذلك تنوسي المعني الاصلي »[٦] .

وكذلك ألفاظ : الصوم والزكاة والحج والمسلم والكافر والمؤمن والمنافق .. وغيرها ، كلها الفاظ كانت لها دلالتها قبل الاسلام غير دلالتها بعد الاسلام ، والتي تعرف عليها الآن[٧] .

وللتطور الدلالي مظاهر جعلت الألفاظ تتطور ، فتكسب من المعاني انماطا جديدة لم تكن معروفة لها من قبل ، وهذا ما يجعل الألفاظ تحيا حياة متجددة ، وقد استطاع اللغويون المحدثون ان يحصروا التطور الدلالي في مظاهر رئيسة اهمها :

١ ـ تخصيص العام[٨]

وهو ان تقتصر الدلالة على بعض اجزائها ، فيضيق شمولها بحيث تصبح دلالة الكلمة مقصورة على اشياء اقل مما هي عليه اصلا ، مثل « لفظ السبت فانه في اللغة الدهر ، ثم خص في الاستعمال لغة بأحد ايام الأسبوع ، وهو فرد من افراد الدهر »[٩] .

ومثلها الفاظ : الحج والصلاة والمؤمن والكافر ، والتي تخصصت دلالتها بعد ظهور الاسلام بعد ان كانت تدل على معان عامة .

٢ ـ تعميم الخاص[١٠]

وهو ان يتوسع في معنى الكلمات ودلالتها ، اذ تنقل من معناها الخاص الذي كانت تدل عليه الى معنى أشمل وأعم مثل « النجعة اصلها طلب الغيث ، ثم كثر فصار كل طلب انتجاعا . والمنيحة اصلها ان يُعطى الرجل الناقة ، فيشرب لبنها او الشاة ، ثم صارت كل عطية منيحة »[١١] .

٣ ـ تغيير مجال الدلالة[١٢]

وهو أن ينتقل اللفظ من مجال دلالته الى مجال دلالة آخر لعلاقة او مناسبة بين الدلالتين ويأتي هذا المظهر من تطور الدلالة على طريقين :

احدهما : طريق الاستعارة ؛ اذ ينتقل مجال الدلالة لعلاقة المشابهة بين المدلولين .

ومن سنن العرب استعارتهم للشيء ما يليق به ، فيضعون الكلمة مستعارة له من موضع آخر ، مثل استعارتهم الأعضاء لما ليس من حيوان لأمور أخرى لوجه المشابهة بينهما ، كاستعارتهم الرأس في قولهم : رأس الأمر ، ورأس المال ، وكذا استعارتهم

---

٤ ـ انظر في هذا المرجع السابق من ص ١٣٤ ـ ص ١٣٩ وانظر فقه اللغة وخصائص العربية . محمد المبارك ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .

٥ ـ انظر دلالة الالفاظ ص ١٤٥ وما بعدها . وانظر دراسات في فقه اللغة ص ٣١٤ وما بعدها . د. صبحي الصالح ـ دار العلم للملايين .

٦ ـ في فقه اللغة . د. عبدالله ربيع ، عبدالعزيز علام .

٧ ـ انظر الصاحبي لابن فارس . تحقيق السيد احمد صقر . ص ٨٣ وما بعدها .

٨ ـ انظر دلالة الالفاظ ص ١٥٢ وما بعدها ، وانظر فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢١٨ ، ص ٢١٩ .

٩ ـ المزهر ج١ ص ٤٢٩ .

١٠ ـ انظر دلالة الألفاظ ص ١٥٢ وما بعدها وانظر فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢١٨ـ٢١٩ .

١١ ـ المزهر جـ١ ص ٤٢٩ .

١٢ ـ انظر دلالة الألفاظ ص ١٦٠ وما بعدها .

العين في قولهم : عين الماء . والحاجب في قولهم : حاجب الشمس ، والأنف في قولهم : انف الجبل ، وانف الباب ..[١٣]

أما الآخر : فطريق المجاز المرسل . وهو أن ينتقل مجال الدلالة لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين ، واهم علاقات المجاز المرسل : السببية ، والحالية ، والمحلية ، والمجاورة ، والزمانية ، والمكانية ، والجزئية .. وغيرها .[١٤]

والمجاز المرسل واحد من طرق تطور الدلالة ، وله اثر كبير في هذا التطور . وامثلته في العربية كثيرة[١٥] . كانتقال دلالة لفظ الغيث من المطر الى النبات في قولهم : رعت الماشية الغيث اي : النبات ، لأن الغيث الذي هو المطر سبب فيه ، وهناك قرينة لفظية هي « رعت » . وكذا انتقال دلالة لفظ الرزق من جميع انواع الأرزاق الى المطر الذي يسبب هذه الأرزاق وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وينزل لكم من السماء رزقا** ﴾[١٦] . او انتقال دلالة لفظ الاصابع التي هي الكل الى الأنامل التي هي جزء من الأصابع ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **يجعلون اصابعهم في آذانهم** ﴾[١٧] او انتقال دلالة النادي الى رواده ، في قوله تعالى : ﴿ **فليدع ناديه** ﴾[١٨] لكونه محل اجتماعهم .

وللمجاز اثر كبير في التسمية واطلاق الألفاظ على مسمياتها ؛ اذ ان العرب تسمي الشيء باسم غيره اذا كان مجاورا له . ، او كان منه بسبب[١٩] .

وهناك مظاهر[٢٠] لتطور الدلالة ، ولكنها اقل شيوعا مما ذكرنا ، وهي تتصل بعوامل نفسية واجتماعية ، كرقي الدلالة او هبوطها او حسن التعبير ، او التحول عن معان مضادة او الغموض ، وغير ذلك من الوسائل التي بها تتطور دلالة الألفاظ .

وهذا التطور لدلالة الألفاظ اخرج الألفاظ من مدلولاتها الموضوعة لها اصلا ، الى مدلولات اخرى تتسع وتضيق من لفظ لأخرى حسب حجم او سعة استعمال هذه اللفظة او تلك .

وخروج الألفاظ من مدلولاتها الأصلية الى مدلولات اوسع نطاقا ، يمكن ان يتمثل باستعمال لفظ واحد لأكثر من معنى ، مثل استعمال لفظة (العين) لتدل على الباصرة ، وعلى عين الماء ، وعلى الربيئة او الجاسوس . وهذا النوع من اشتراك الدلالات في لفظة واحدة هو ما يسمى بالاشتراك اللفظي او المشترك اللفظي .[٢١]

« وكون الدلالات تشترك في لفظة واحدة لا يعد دليلا على فقر اللغة ، وعدم كفاية الفاظها ، لأنه يوجد في اللغة العربية – فوق ما فيها من اشتراك لفظي – لفظ خاص لكل معنى »[٢٢] ولكن لا يعدو ان يكون مظهرا من مظاهر تطور الدلالة .

ويمكن ان يمثل تطور الدلالة باستعمال لفظ واحد ليدل على معنى وضده ، مثل استعمال لفظ (الجلل) ليدل على الصغير والكبير ، واستعمال لفظ (الجون) ليدل على الأبيض الأسود ، واستعمال لفظ (القرء) ليدل على الطهر والحيض . قال تعالى : ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾[٢٣] .

وهذا ما يسمى بالتضاد[٢٤] ، وهو نوع من انواع الاشتراك اللفظي ، وضع فيه اللفظ للدلالة على معنيين متضادين . وينشأ التضاد غالبا من اختلاف الوضع بين القبائل ، وقد ينشأ من استعمال اللفظ في ضد معناه بطريق المجاز التهكمي ونحوه . وفي كل الأحوال هو تطور دلالي .

ومما سبق يتضح لنا كيف يتمثل التطور الدلالي للفظ عن طريق ظاهرتي الاشتراك اللفظي والتضاد ، ولكن هناك تطورا دلاليا خلافا لهما ، ويتمثل ذلك بأن يكون هناك معنى يدل عليه اكثر من لفظ . اي ان هناك الفاظا متعددة يمكن ان تدل على معنى واحد باعتبار واحد ، مثل تعدد الألفاظ الدالة على معنى (الاصل) فيدل عليه من الألفاظ : الأرومة ، والعنصر ، والخدم ، والنبت ، والجذر ، والجرثومة ، والمحتد ، باعتبار واحد وهو الوضع ، فان كل لفظ من هذه الالفاظ السبعة هو لمعنى الأصل .[٢٥] . وكذا اسماء السيف واسماء الفرس وغيرها .. الخ .

وهكذا نجد اننا امام ظواهر لغوية متعددة : من مشترك لفظي ، وتضاد وترادف وغيرها . كل تلك الظواهر لغوية افرزها ذلك التطور الدلالي لألفاظ اللغة ، وهذا يعد ثراء وترفا للغتنا العربية الخالدة □

---

١٣ – فقه اللغة للثعالبي ص ٢٥٦–٢٥٧ ، دار مكتبة الحياة .

١٤ – جواهر البلاغة للسيد الهاشمي ص٢٣٢–٢٣٣ . دار الكتب العلمية بيروت .

١٥ – نفس المصدر .

١٦ – سورة غافر/١٣ .

١٧ – البقرة/١٩ .

١٨ – العلق/١٧ .

١٩ – ادب الكاتب ص٢١ لابن قتيبة – تحقيق محمد الدالي . مؤسسة الرسالة .

٢٠ – انظر دلالة الالفاظ ص١٣٦ ، ص١٥٦ ، ١٥٧ .

٢١ – المرجع السابق ١٦٣ .

٢٢ – مذكرة فقه اللغة ص٣١ للاستاذ سعيد حشيش .

٢٣ – البقرة/٢٢٨ .

٢٤ – انظر في هذا الصاحبي ص١١٧ ، وانظر المزهر ج١ ص٣٨٧ .

٢٥ – انظر كتاب الالفاظ الكتابية للهمداني ص٣١ . بيروت ١٩١١م .

الميرامية

بقلم: الأستاذ درويش الشافعي - الأردن

الميرامية نبات معروف شاع استعماله في العديد من بلدان الشرق الأوسط ، حيث يشربه الناس أو يعطرون به الشاي . تتبع الميرامية الفصيلة الشفوية (Labiatae) ولها عدة تسميات مثل ناعمة ، مخزنية ، قويسة ، قصعين ، شاي الجبل ، شاهي درنة ، تفاح الشاهي ، لسان الابل ، سواك النبي ، وغيرها .

أما اسمها باللغة الانجليزية فهو (Sage) ، ويوجد من الميرامية في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط وهو موطنها الأصلي أكثر من أربعين نوعاً ، وعلى الرغم من تعدد أنواعها الا أنه لا توجد بينها فروق جوهرية . وعند الرجوع الى المراجع القديمة يتبين أن الميرامية قد احتلت مكانة بارزة في الطب الشعبي وتعددت أوجه استعمالاتها ، ولعل السبب في ذلك يعود الى كثرة منافعها وفوائدها الطبية وعدم وجود محاذير من استعمالها . ولأن أجدادنا قد أكثروا من تناولها وزرعوها في حدائق منازلهم فانهم بذلك يؤكدون قدرتها في شفاء بعض الأمراض ـ باذن الله ـ واليوم وبعد أن أجريت عليها الأبحاث والدراسات تأكدت صحة ما عرفه الأجداد عن خواصها الطبية وعرفت لها خواص علاجية جديدة لم تكن معروفة من قبل .

ولعله من المفيد هنا أن نستعرض أهم خواص الميرامية الطبية ونعرِّف بها ، فعسى أن يجعل الله فيها الشفاء والبركة .

الوصف العام

الميرامية نبات عشبي معمر يتحول بعد مرور الزمن من (١ــ٢) عام الى شجيرة صغيرة يتراوح ارتفاعها ما بين (٤٠ــ٨٠) سنتيمتراً . أما في الظروف المثالية لنموها فقد يصل ارتفاع احداها الى أكثر من (١٧٠) سم وذلك بسبب تسميد تربتها بالأسمدة العضوية وتقليم أفرعها السفلية . ولساق الميرامية أربع زوايا ، وهي كثيرة التفرع . أوراقها طويلة متقابلة مخملية الملمس والمظهر ذات لون رمادي ، أما أزهارها فهي شفوية لها لون بنفسجي أو أبيض . وتتميز الميرامية برائحتها الكافورية الطيبة .



الأزهار والبراعم الزهرية للميرامية .

تاريخ النبات

يستدل من الاسم العلمي لجنس هذا النبات (Saliva) انه مشتق من اللغة اللاتينية (Salveo) وتعني « ينقذ » اشارة الى كثرة خواصها العلاجية الفاعلة . ويعود استخدام هذا النبات في الطب الشعبي الى ما قبل ميلاد عيسى عليه السلام بفترة طويلة ، وقد استخدمها الرومان كعلاج للأعصاب وزيادة الادراك وتنشيط الذاكرة . أما العرب فقد استخدموها لمعالجة الجروح والقروح الداخلية ، وقد عرفت باسم لسان الابل وذلك اشارة الى شكل أوراقها . وفي القرن السابع عشر استخدم النبات في بريطانيا لاطالة العمر وتأخير أعراض الشيخوخة . ويذكر جيرارد عام ١٥٩٧م أن النبات مفيد في تنشيط الادراك الحسي وتنشيط الذاكرة وتقوية الأوتار والأربطة العضلية ، كما يفيد مرضى الشلل وارتعاش الأعضاء . وذكر كولبيبر أن الميرامية تزيد في ادرار الطمث لدى النساء وازالة آلام المفاصل ذات المنشأ الروماتزمي ، وتوقف الاسهال والتشنجات . وفي نهاية القرن الثامن عشر كتب البروفسور توماس هيل أن الميرامية تكبح التدهور السريع الذي يصيبنا في السنوات المتقدمة من العمر .

المواد الفعالة

تتركز المواد الفعالة ذات التأثير الطبي في الأوراق قبل الازهار الذي يحدث في أيار وحزيران (مايو ويونيه) ، وتحتوي الأوراق على زيت طيار تصل نسبته الى ٢٪ يتألف بصورة أساسية من الثوجون (Thujone) ، والسينيول (Cineol) ، والكافور (Camphor) ، والبرونيول (Broneol) ، واللينالول (Linalool) وغيرها ، كما تحتوي على التانينات (مواد

عفصية) وأحماض عضوية ومواد مرة مثل) Picro Salvine) .

الاستخدامات الشائعة في الطب الشعبي

تستعمل أوراق الميرامية الجافة أو الغضة بعدة طرق من أهمها ما يلي :

أولا : منقوع الميرامية : يستخدم منقوع الأوراق بمعدل ملعقة كبيرة من الميرامية لكل نصف لتر من الماء في غسل المهبل لمعالجة السيلانات والالتهابات المهبلية والشرجية . كما يستخدم المنقوع شرباً بمعدل ملعقة لكل كوب ماء للكبار ونصف الكمية للصغار) لتحسين عملية الهضم ، وزيادة القابلية لتناول الطعام ، وعلاج التهابات الأمعاء الحادة والمزمنة ، والاسهالات والالتهابات الكبدية والصفراوية ، كما يفيد شرب المنقوع في حالات الأنفلونزا والأمراض الصدرية ، أما مرضى السكري فيمكنهم تناول عدة أكواب يومياً قبل الطعام لتخفيض نسبة السكر في الدم .

تحتوي ورقة الميرامية على المواد الطبية الفعالة .

ثانياً : مغلي الميرامية يفيد شرب مغلي الميرامية بمعدل أربع ملاعق كبيرة من الميرامية لكل لتر من الماء في معالجة مجموعة كبيرة من الأمراض نذكر منها :

- وقف الاسهالات وتشنجات الأمعاء والمغص الناتج عن البرد أو تناول الوجبات الدسمة . ويعتقد بعض الناس أن شرب مغلي الميرامية من قبل الأصحاء أي في حالة عدم وجود الاسهال يسبب لهم الامساك ، بيد أن الحقيقة غير ذلك ، لأن الميرامية تعمل كمنظم لحركة الأمعاء ولا تسبب الامساك الا في حالة وجود امساك مزمن .
- تقليل ادرار الحليب لدى المرضعات ، عند الرغبة في فطام الرضيع .
- زيادة تقلصات الرحم عند الولادة ، وتنظيم الدورة الشهرية وزيادة الطمث ، وقد أشارت بعض المصادر العلمية الى أن المواظبة على شرب مغلي الميرامية تفيد في حالات العقم عند النساء بسبب احتوائها على الشوجون الذي ينشط الدورة الدموية في الرحم والمبيضين .
- التهاب اللوزتين والفم واللثة من خلال غسل الفم والمضمضة بمغلي الميرامية (بمعدل ملعقة كبيرة لكل نصف لتر من الماء) ولمدة ربع ساعة مع تكرار ذلك عدة مرات في اليوم (مرة كل ساعة) . ويفضل اضافة العسل والخل أو العسل والليمون الى مغلي الميرامية للاسراع في العلاج .
- وقف القيء ، والدوخة والصداع .
- تهدئة الأعصاب المتوترة والمرهقة ، في حين يؤدي شرب مغلي الميرامية المتكرر الى تقوية الأعصاب المحيطية والجهاز العصبي ككل . كما يفيد شرب المغلي قبل النوم في جلب النوم الهادىء .
- تنشيط الذاكرة لدى كبار السن وطلاب المدارس والباحثين ، والمنهكين بسبب كثرة أعمالهم الذهنية .
- طرد الغازات المعوية والديدان الطفيلية .
- يكافح السمنة الزائدة . فقد اكتشف حديثاً أن شرب مغلي الميرامية بدون سكر في الصباح قبل الافطار يقلل الوزن ويزيل الدهون المتكدسة في الجسم خصوصاً اذا ما أضيفت اليه ملعقة من عصير الليمون .
- معالجة البواسير وسقوط الشرج وذلك من خلال عمل حمام مقعدي .

ولتحضير المغلي يلزم غلي لتر من الماء مع خمس ملاعق كبيرة من أوراق الميرامية لكل لتر من الماء . يصفى المغلي ثم يبرد الى درجة حرارة يستطيع الجسم تحملها . يوضع المغلي في حوض الحمام ، ويجلس فيه المريض لمدة نصف ساعة ، وتكرر العملية لمدة خمسة أيام .

ثالثاً : الغسل بمغلي الميرامية :

- يخفف الغسل بمغلي الميرامية الألم الناتج عن لدغ الحشرات ويمنع التهاب مكان اللدغة . كما يمكن استعمال عصارة الميرامية لهذه الغاية . وتفيد العصارة أيضاً وبشكل سريع في وقف نزف الجروح ومنع التهابها ، وعند غسل الذقن بمغلي الميرامية بعد الحلاقة فان ذلك يفيد في منع ظهور الحب وفي تسهيل عملية الحلاقة في المرة القادمة .



شجرة الميرامية .

- مكافحة قشرة الرأس ومنع تساقط الشعر وذلك بفرك فروة الرأس بمغلي الميرامية بعد الحمام ، ويستحسن ترك الرأس بدون تجفيف لمدة نصف ساعة على الأقل ، وبالاضافة الى ذلك يفيد غسل الرأس بمغلي الميرامية في اعادة اللون الطبيعي للشعر ويكافح قشرة الرأس .

رابعاً : التبخير بمغلي أوراق الميرامية :

- تستعمل طريقة التبخير بمغلي الميرامية في حالات التهاب الجيوب الأنفية والسعال والزكام ، ويمكن عمل التبخير بغلي لتر من الماء مع أربع ملاعق من أوراق الميرامية ، وعند بدء تصاعد الأبخرة ، ويغطي المريض رأسه بقطعة قماش سميكة ويقف فوق الاناء المحتوي على مغلي الميرامية ثم يأخذ باستنشاق الأبخرة المتصاعدة لمدة عشر دقائق . يذهب المريض بعد ذلك الى النوم ويتغطى بغطاء سميك ، وتكرر العملية حتى تزول الأعراض .

- التبخير الجاف بأوراق الميرامية : تحرق أوراق الميرامية في منقل داخل غرفة مغلقة بهدف تعقيم الأثاث المنزلي وأجسام الأشخاص الموجودين داخل الغرفة وتستعمل هذه الطريقة في حالة الأنفلونزا أو الاصابة بأمراض فطرية أو جرثومية .

ويعود السبب في ذلك الى احتواء الميرامية على مواد قاتلة للجراثيم (Bacterio cide) وللفطريات (Fungicide) . ويعد الهنود الحمر أول من استعمل أبخرة الميرامية لهذه الغاية .

وهناك استعمالات طبية أخرى للميرامية لكنها أقل أهمية مما ذكر . أما فيما يتعلق بالمحاذير فهي قليلة جداً ولعل من أبرزها ما يلي :

- تمنع الميرامية عن الأشخاص المصابين بارتفاع شديد بضغط الدم ، والذبحة الصدرية ، والشقيقة .

- تمنع الميرامية عن المصابين بامساك مزمن .

- تمنع الميرامية عن المرضعات والحوامل ، فكما ورد سابقاً فان الميرامية تقلل ادرار الحليب وتزيد تقلصات عضلات الرحم .

وفي الختام نؤكد على ضرورة اللجوء الى الأعشاب الطبية في معالجة ما يصيبنا من أمراض وتوعكات صحية ، ثم مراجعة الطبيب في حالة استمرار أعراض المرض . ويا حبذا لو اعتدنا على تناول واستعمال النباتات الطبية مثل البابونج ، الزعتر ، اليانسون ، بدلا من بعض المشروبات التي درجنا على تناولها مثل الشاي والقهوة والمشروبات الغازية □



البراعم الزهرية للميرامية .



تفتح كامل لأزهار الميرامية .

تنمو عشبة الميرامية بدون ري ، وتتميز برائحتها الكافورية الطبية



قلبي... لديكم

شعر: عبدالله شرف - مصر

يَاجيرَة الحيّ، قَدْ أودىٰ بي الألمُ — وَاهتَاج جرحي، ومَاينفكُّ يضطَرِمُ

مَالي وَللنّاسِ ؟ دنيَاهم تعذّبني — وَالنّفسُ ترجُو وتحيَا هَدّهَا السَّقَمُ

ياجيرَة الحيّ، هَل في الحيِّ من أملٍ — نحيَا عليه، وجُرح الصّدر يلتئمُ

دنيَا من الوَهم مَاتنفكّ خادعة — أودت بنَا فزمانُ السّعدِ مُنهدِمُ

عشنَا عليهَا سنينًا وهيَ لاهيةٌ — ثمّ انتهينَا علىٰ الآمَال تَنحطِمُ

هَل من بقَايَا لأحيَا لَايعُذّبني — ذِكرُ الفرَاقِ، وعُمر بَاتَ ينْصرِمُ

قَلبي لَديكم فهَل تدرُون كَمْ ألمي؟ — مَاعَاد تنفعهُ الأمثَالُ وَالحِكمُ

ياجيرَة الحيّ مَازلنَا يُراودنَا — ذِكر الهنَاء.. يُبَادينا فَنبتسِمُ

لايعبأ القَلب بالدنيَا وزُخْرُفِهَا — فَالرّوضُ جَنّتنَا، وَالحلمُ مُحتَدِمُ

نَبكي وَنضحكُ، لَاحزنٌ يطولُ بنَا — وَالقَلبُ رَاضٍ، وَلا الآمالُ تنثَلِمُ

نَصحُو علىٰ الوَهمِ.. نَبنيهِ وَنُنشئُهُ — وَالرُّوح تَصغي وبالأوهَام تَعتَصِمُ

ياجيرَة الحيّ، إنّ الشّوق يجذبني — وَالعُمرُ أضحىٰ شَقَاء حَاطهُ السّأمُ

مَاعدتُ أرجُو سوىٰ ذِكرىٰ أطوفُ بهَا — فالصّدرُ أودت بهِ الأشجَان وَالألمُ

فلتذكرُوني إذا أمضَي وبي ألمي — فَالجُرحُ ثَارَ، ومَاينفكُّ يَضْطَرِمُ

قصـة قصيـرة

موقف في حياة صعلوك

بقلم : د. طه وادي - مصر



انتصف ليل القاهرة او كاد ، لكن حركة الحياة لم تتوقف ، رغم برودة يناير القارسة . قادته قدماه الى ركنه المنعزل في قهوة « الفيشاوي » . لا يدري كيف وصل .. ولا أي طريق سلك ، غير انه احس راحة شديدة ، حينما جلس متهالكا على الكرسي الخشبي . لم يجد صعوبة ـ رغم الزحام ـ في ان يصل الى مجلسه المفضل . هنا مارس كل النشاطات التي يبيح القانون ممارستها في مكان عام .... يحلو له ـ احيانا ـ ان يقضي الليل في هذا المكان ، ليس مهما ان ينام ، المهم ان يقتل احساسه بالوحدة والوحشة ، احساس مرعب مدمر ان يحس امرؤ الوحدة والوحشة وهو يعيش في مدينة تعدادها اثنا عشر مليونا من البشر . أيقظه النادل دون ان يلتفت اليه :

ـ شاي يا استاذ صابر ؟

أومأ بإشارة بطيئة . في ذات اللحظة التي غاب فيها النادل ، ظهر ماسح احذية ، اخذ يضرب بفرشاة خشبية على صندوق صغير ، فتغافل عنه ، موقنا ان حذاءه قد صار ارخص من القروش ، التي يمكن ان يمسح بها ، كما انه ـ اي الحذاء ـ صار اجرب لا ينفع معه اي لون ، واهم من هذا وذاك هو انه لا يحتكم على اية نقود .

جاء النادل ، ووضع امامه الصينية وبراد الشاي ، وكوبا به بعض السكر ، وورقة نعناع اخضر ، وكوبا آخر به ماء . احتسى الماء بسرعة آملا في ان يسكت معدته الخاوية . بينما كان يذيب السكر في الشاي برتابة وهدوء ، اخذ يتأمل زبائن المقهى ، وهم يلعبون لعبة الطاولة ، ويدخنون الشيشة ، ويشربون القرفة او الزنجبيل او الشاي ـ مثله ـ او الحلبة المطحونة او القهوة . ثمة عالم غريب عجيب يحاول اصحابه قتل ليل الشتاء البارد بصبر وعناد .

الزحام جعل الناس يقتربون من بعضهم ، ويتعاملون كأنهم اصدقاء حقيقيون ، مع انهم اجتمعوا صدفة .. وسوف يفترقون صدفة . ارهف السمع ـ دون قصد ـ لاحاديثهم الساحرة حول قسوة البرد وغلاء الاسعار . تأمل ملابسهم المتواضعة وعيونهم المرهقة ، فرأى فيهم صورة منعكسة لحياته الضائعة .. غير ان هؤلاء الضائعين ـ فيما بدا له ـ كانوا أسعد حالا منه ، لانهم يعيشون الفقر ، ولا يشعرون به مثله ـ على الاقل . وقد زاد من إيمانه بهذه الفكرة ان وجدهم يتحلقون حول واحد منهم ، بدأ يغني بصوت مجروح :

ان كان بدّك تريّح قلب وتهدي
اترك هوى الدنيا ، لا تاخذ منها ولا تدي
حسّك تقول عمي ولا خالي ولا جدي
دا اللي معاه مال مالك دي ومالك دي
واللي بلا مال تارك دي وتارك دي

صاح واحد من المستمعين منتشيا :

ـ شاي على حسابي يا معلم لشلة الانس . !!

تمنى ان يكون من الشلة ، حتى تشمله موجة الكرم المفاجيء ، ويشرب شايا على الحساب . لا فائدة ، انه ـ كما تخيل نفسه ـ هكذا دائما .. لا هو مع الناس ، ولا هو بعيد عنهم .. ! لقد حاول ، لكنه دائما يفر ويهرب . شكل الفقر بالنسبة له حدا مثل سور الصين العظيم ، يحول بينه وبين البشر . لم يكن اميا بحيث يتجه الى حرفة ، يكون على الاقل مثل الاسطى دسوقي الحلاق . كما انه لم يكمل تعليمه ، بحيث يستطيع ان يشغل وظيفة محترمة .

انه مجرد حاصل على الثانوية ، ويعمل ـ منذ خمس عشرة سنة ـ معاونا لمدرسة ابتدائية . لكن الذي افسد حياته ودمر كيانه ، توهمه منذ وقت مبكر انه يمكن ان يكون كاتبا صحفيا ، فأخذ يشتري الجرائد والمجلات ، ويكتب ويرسل الى كل الصحف والمجلات .. لكن اسمه لم يظهر حتى الآن سوى مرتين في بريد القراء . بين الحلم والواقع ضاعت جنيهاته وقروشه ، واغتربت نفسه وروحه . امسى يؤمن انه غريب .. ومضت المسافة تتسع بينه وبين الناس في العمل . وفي الحارة .. وفي المقهى ..

شتم في النهاية ـ في السر والعلن ـ الصحف والصحافة ، وقرر ان يكون ممثلا .. فنانا ، والفن ـ في تقديره ـ موهبة لا يحتاج المرء معها الا الى النوايا الطيبة . بدأ يتابع مجلات السينما ، ويشاهد الافلام المحلية والاجنبية .. واخذ ينتظر الفرصة السانحة . توهم ذات مرة ان الممثل الذي يقوم بدور الرجل الطيب على الشاشة ، هو كذلك بالفعل في الواقع . وراح ينتظر الممثل الطيب ـ كما تصوره ـ في اقرب مسجد الى بيته كل يوم جمعة ، غير انه اكتشف بعد نصف سنة ان الرجل لا يزور المسجد البتة . بعد ذلك اتهم نفسه بقصور الرؤية وقلة الوعي ، لم لا يطلب المساعدة من ممثلي ادوار الشر ؟! لكنه اكتشف ـ بعد فوات الأوان ـ ان كل الطرق الى الشاشة الكبيرة او الصغيرة مسدودة ، وان لا امل .

رأى في نفسه صورة مجسدة للفقر .

لولا الفقر لما مات ابوه دون علاج .. ولا توقف مسار تعليمه .. ولا ما تزوج حتى الآن .

ترك المقهى .. واتجه الى مسجد الحسين . ادرك حين رأى الحركة الصاخبة في الميدان ان الفجر ما زال بعيدا . لكن التعب والضياع كانا اكبر من اي احساس آخر . ايقظه من غفوته شرطي في ملابس سوداء كانه عفريت . ابرز له بطاقة تحقيق الشخصية طالبا عفوه ، ثم مضى لا يدري الى اين يمكن ان يذهب ؟! احس قشعريرة ابرد من برودة ليالي الشتاء حين توهم ان عيني الشرطي ما تزالان تتعقبانه ، فاسرع في الحواري والازقة .. لا حركة .. لا احد يمشي في هذا الليل البارد سواه . سولت له نفسه ان يعود الى المقهى .. لكن ماذا يفعل هناك ، ولم يعد معه قرش واحد ؟! أفضل شيء هو ان يذهب الى البيت لينام ، حتى يذهب الى المدرسة في الموعد ، ولو مرة واحدة . الناظر استخدم معه كل اساليب الزجر والعقاب بلا جدوى . اخيرا كتب عنه في ملف الخدمة « لا ينقل ولا يرقى ولا يفصل ولا يأخذ علاوة » .. يعني موظف مع إيقاف التنفيذ . تحسر على ما آل اليه حاله ، وقرر ان يبدأ من جديد بداية صحيحة . يجب ان يرضى بالقضاء والقدر ، وان يؤدي واجبه كما ينبغي .. وان ينسى كل الاحلام او الاوهام التي افسدت عليه حياته !!

وصل اخيرا الى البيت . تلمس طريقه بحذر على السلم المظلم والسور الحديدي المتآكل . اخذ يصعد درجة درجة ، واصداء صخب المقهى ومطاردة الشرطي وبرودة الليل تزيد من آلامه ومخاوفه . حاول ان يفتح الباب ـ باب غرفته ـ بهدوء ، حتى لا يوقظ النائمين ، لانه يشغل غرفة في شقة مشتركة ، توجد بها ثلاث غرف اخرى ، فيها ثلاث عائلات . شعر بقدر من الراحة حين سمع في الظلام حركة المفتاح تؤذن بفتح الباب المغلق . ظلام الحجرة اشد من ظلام السلم . صاحب البيت قطع عنه النور ، لانه غير مواظب على دفع الاجرة . شتم الظلام .. وصاحب البيت .. وناظر المدرسة .. ونادل المقهى .. وشرطي البوليس ، وارتمى متهالكا على الحصيرة . لذعه البرد بشدة . رغم برد الحصيرة وظلام الحجرة الا انه استلقى على ظهره ، وتطاول بملابسه وحذائه البالي الاجرب . جذب البطانية المتآكلة ، وغطى جسده المتعب من القدم الى الرأس . احس انه لم يسترح لحظة في حياته . حاول ان يطرد اشباح الخوف والبرد . قليلا قليلا بدأ يحس بعض الدفء . اخذ النوم يداعب جفونه . فيما هو بين اليقظة والمنام رأى طيف أبيه يقول له : « كن شجاعا يا صابر .. حاول ان تبدأ منذ الآن بداية جادة بلا خوف .. وبلا وهم !! » □

مساحات ثقافيّة وفكريّة

في مهرجان الجنادريّة السّابع

بقلم: عادل أحمد صادق - هيئة التحرير - تصوير: عبد الله يوسف الدبيس - أرامكو السّعودية



صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز ، الرئيس العام لرعاية الشباب يفتتح برنامج النشاط الثقافي في الجنادرية .

الحوار طبيعة انسانية ، وكانت للحوار بداية مع بداية وجود الانسان على الارض . الا ان حوار الانسان مع اخيه الانسان اكتسب اشكالا والوانا مختلفة تبعا لاختلاف الظروف التي كان يوجد بها الانسان نفسه . وقد تكون محاكاة الانسان للطبيعة اول لغة حوار على وجه الارض ؛ لأن الطبيعة نفسها في حوار دائم ثم تطور الحوار ليتم بين البشر بلغة متجددة دائما وابدا . وعلى الرغم من انه قد مرت على البشرية فترات تاريخية تخللتها الحروب المدمرة وانتفت فيها تلك الطبيعة الانسانية . الا ان عصرنا الراهن يتميز بانه ابتكر للحوار لغة تتداولها الامم فيما بينها لبناء عالم أفضل ومستقبل زاهر للبشرية جمعاء . لأن الحوار هو الطريق الذي يضع لبنات قوية لتعمير عالم جديد يتسم بالتفاهم والاخاء .

وفي قلب الجزيرة العربية ، هنا في المملكة العربية السعودية ، كان هناك حوار متميز ، عقده ادباء وعلماء ومفكرون من العالم العربي في المهرجان الوطني السابع للتراث والثقافة بالجنادرية . وقد اخذ هذا الحوار ينمو ويتسع من خلال برنامج النشاط الثقافي الذي شمل الندوات الثقافية والامسيات الشعرية .

فمن الندوات الثقافية التي عقدت « الشعر العربي والحياة الشعبية » و « الشعر والحكاية » و « الموروث الشعبي والرومانتيكية الاوروبية » و « الخيال الشعبي في الشعر » و « موسيقى الشعر العربي » و « الاشكال الشعبية والرمز الاسطوري في الشعر المعاصر » . اما الندوات الفكرية فقد ضمت « المسلمون في آسيا الوسطى » و « الدور الاسلامي المطلوب » و « ازمة الفكر السياسي العربي في التعامل مع القضايا الكبرى » و « مكاننا في النظام العالمي الجديد » و « في سبيل استراتيجية اهدي واجدي للحركة الاسلامية » و « الوحدة الفكرية بين الثوابت وعوامل الاختلاف » .



الدكتور عبدالله الغذامي .

وفي كل من الندوات الثقافية والفكرية تم الحوار بين جميع الاطراف في جو من الود واحترام الرأي الاخر ، مما كان له الاثر الكبير في انجاح النشاط الثقافي للمهرجان الوطني السابع للتراث والثقافة بالجنادرية .

ونلقي الضوء هنا على بعض جوانب ذلك النشاط الذي كان مليئا وغنيا بالافكار الجديدة والاطروحات الجادة فيما يتعلق بالاوضاع الثقافية في عالمنا العربي . وكان المتحاورون قد أقروا موضوع الموروث الشعبي وعلاقته بالابداع الفني والفكري في العالم العربي ، كمحور رئيس للندوة الثقافية .

وقد أثارت احدى الجلسات الثقافية المتميزة حوارا فعالا حول الخيال الشعبي في الشعر وادارها الدكتور حسن فهد الهويمل ، وقدم الورقة الدكتور عبدالله الغذامي . وفي بداية الجلسة قال الغذامي « قال ابو العباس : تكاذب اعرابيان فقال احدهما خرجت مرة على فرس لي فاذا انا بظلمة شديدة فيممتها حتى وصلت فاذا قطعة من الليل لم تنتبه فما زلت احمل بفرسي عليها حتى انبهتها فانجابت . فقال الآخر : لقد رميت ظبيا مرة بسهم فعدل الظبي فعدل السهم خلفه ، فتياسر الظبي فتياسر السهم خلفه ، ثم علا الظبي فعلا السهم خلفه ، فانحدر عليه حتى اخذه » .

وقال الدكتور الغذامي : والاعرابيان يتكاذبان اي انهما يؤلفان حكاية . ثم استطرد في تحليل الحكاية ليصل الى ان « الهدف واضح في هذا النص كوظيفة دلالية لاشاراته وعناصره الرئيسة ، حيث يتحول الحلم الى رمز ويتجلى المرموز الشعري الذي ظل الشعراء يهجسون به ويتكاذبون فيه » .

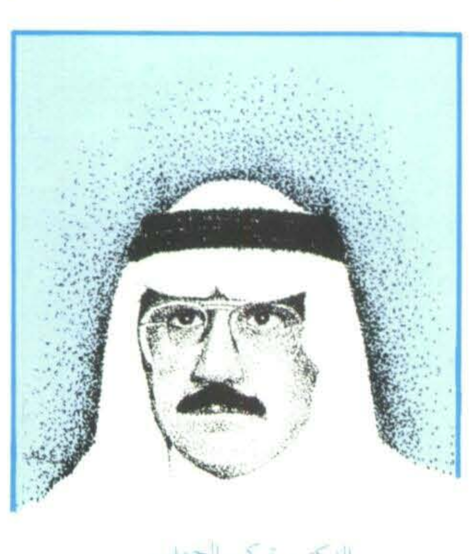
ويرى الدكتور الغذامي ان هذا ليس دجلا وتزييفا ولكنه خيال ادبي يتفق مع منطق وغايات التكاذيب بوصفها فنا ادبيا يعتمد على فكرة منح الاشياء لغة للتعبير والافصاح ، وهذه عندما تتكلم فانها تصبح حية ومنسجمة مع نظام الحياة فاللغة دفاع ضد الموت والتلاشي .

وفي نهاية الورقة قال الدكتور الغذامي حول وظيفة التكاذيب « والتكاذيب اذ تعبر عن خوف الاعرابي من الليل ومن الجوع فهي في الوقت ذاته تحرير وانعتاق من الليل ومن الجوع ومن القحط ومن الجفاف ؛ حيث تصبح اللغة المبدعة بديلا للظروف الجامدة . ووظيفة النص هنا لن تكون تطهيرية بمعني انها تخلص المبدع من جيشانه العاطفي بواسطة ارضاء احساسه المعبر عنه ، ولكن الوظيفة تأتي من اشباع الاحساس بتحويله الى عنصر خيالي فعال يرتقي بالذات المبدعة ، بعد ان كانت هذه الذات تعاني من عناصر الاحباط المدمرة . وهذه الوظيفة تفعل بالقارىء مثلما تفعل بالمبدع » .

اما الورقة الاخرى التي كانت شائقة وممتعة فقد كانت مقدمة من الدكتور تركي الحمد استاذ السياسة والاقتصاد بجامعة الملك سعود بالرياض وكانت تحمل عنوان « ازمة الفكر السياسي العربي في التعامل مع القضايا الكبرى » . وقد تناول في ورقته قضايا مهمة تمس جانبي الثقافة والفكر وعلاقة وجود الامة بهما . واشار الى صلتهما بغربة الزمان والمكان ، والنتائج التي ادي اليها عدم وجود اتفاق معرفي او اطار محدد . كما تحدث عن العلاقة بالايديولوجيات المتعارضة مع قضية النماء الذاتي والقومي ، واشار الى اننا نعاني من أزمة قراءة للاحداث ، وان نتائج التأزم في الفكر القومي هي ذاتها نتائج التأزم في الفكر الوطني » .

وبعد ان عرض الدكتور الحمد جوانب الازمة التي يعاني منها العالم العربي ، وما افرزته من اسئلة وجودية كبرى للعرب في هذا الزمان ، مثل من نحن وماذا نريد واين الطريق ؟ قال الدكتور الحمد انه قد طرحت اجابات مختلفة كثيرة حول هذه الاسئلة تنطلق من مرئيات مختلفة حسب اساسيات الخطاب الايديولوجي المطروح .

لكن الدكتور الحمد يعود في نهاية ورقته لطرح اسئلة اعمق حول ازمة المثقف العربي وتعامله مع القضايا الكبرى ، مثل السؤال التالي : « ما المطلوب اذن للخروج



الدكتور تركي الحمد .

من عنق الزجاجة هذا وحل اشكالية وازمة المجتمع العربي بل الوجود العربي وبالتالي المثقف العربي ؟ ويجيب على هذا السؤال قائلا : ان الحل يكمن في تضييق الفجوة بين الفكر والواقع وبين الواقع التاريخي العيني من حيث هو صيرورة وحال وبين المفاهيم التي تحاول فهم هذا الواقع وتفسيره وتغييره . ان الحل يكمن في مفاهيم نابعة من ذات هذا الواقع ومن خطاب يعكس الصيرورة التاريخية لهذا الواقع وتشكيلاته وآلياته ، غير غارق في غربة من اي نوع ولا في توفيق او تلفيق باي شكل » .

وقد علق بعض المشاركين على هذه الورقة ، فالاستاذ احمد عباس صالح وهو كاتب عربي معروف من مصر ، اشار الى شدة اتصال الفكرة بأزمة الخليج وان الخطأ يكمن في سوء التقدير ، واشار الى التحزبات التي جعلت المثقفين انفسهم ينقسمون نتيجة المفاهيم المختلفة ورأى أن بعض الافكار لم تعد صالحة في ممارسة الحياة وتغيير شؤونها .

كما علق على الورقة كل من الدكتور عثمان الرواف وعدد من الحاضرين في هذه الجلسة التي استمرت ثلاث ساعات ونصفا كأطول جلسة عُقدت خلال النشاط الثقافي كله لما لها من أهمية تمس الواقع الثقافي والفكري في العالم العربي .

وفي ورقة آخرى قدم الدكتور سعد مصلوح الأستاذ بجامعة الكويت ورقة بعنوان « موسيقى الشعر العربي والاشكال الشعبية في صوتيات القافية العربية » . وبدأ ورقته بقوله « انه قبل ما يزيد على سعبة عشر قرنا من الزمان تحقق للعربية انجازان تاريخيان . اولهما سيادة الفصحى على سائر تنوعات



الاستاذ حسن الخليل

السلوك اللغوي في ارجاء شبه الجزيرة . وثانيهما استقرار تقاليد القصيدة العربية وتحديد انماطها وتشكيلاتها الايقاعية ، فيما عرف بنموذج المعلقة المحدد بخاصيتين هما الوزن والقافية » . وقسم الباحث ورقته الى قسمين الاول ناقش القافية في نظرية الخليل الذي يذكر ان ثمة ما يشبه بالاجماع بين القدماء والمحدثين على ان القافية قسم جوهري للوزن في تشكيل موسيقى القصيدة العربية . اما القسم الثاني فهو يحمل عنوان مراجعة ونقد وخاصة في المصنفات العروضية . وتعريفات ثلاثة من وجهة نظره اولها لابن عبدربه وثانيها للاخفش وثالثها للخليل . ويرى الدكتور مصلوح ان رأي الخليل هو الاعدل . ثم بعد ذلك علق المشاركون في الندوة على الورقة المقدمة واختلفوا حول كثير مما طرح فيها .

والحقيقة ان اوراقا كثيرة طرحت كان لها صدى واسع في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات وخارجها في ارجاء عالمنا العربي ، حيث تناولتها الدوريات الصحفية . ووسط حضور جماهيري كبير قدمت ورقة في الندوة الفكرية بعنوان « في سبيل استراتيجية اهدى واجدى للحركة الاسلامية » وكانت مقدمة من الدكتور جعفر شيخ ادريس ، وادار الندوة الدكتور مانع الجهني ، ومن ضمن الذين شاركوا في التعليق على الندوة الدكتور اسماعيل الشطي والاستاذ عبدالفتاح مور والاستاذ فهمي هويدي والدكتور سعود الفنيسان .

وقد بدأ الدكتور جعفر ادريس ورقته بتحديد مفهوم الاستراتيجية ثم مفهوم الحركة



أضفى جمهور الحاضرين في الجنادرية حيوية على مسار الندوات الثقافية .

الاسلامية . كما قام ايضا بتعريف الحركة الاسلامية والقى الضوء كذلك على القواعد الاستراتيجية العامة التي يرى أن على الحركة الاسلامية ان تتوخاها في سيرها نحو غاياتها وفي العلاقات بين طوائفها .

كما تحدث بعد ذلك عن الهوية الاعتقادية للحركة الاسلامية والاهداف التي تبتغي تحقيقها في واقع دنيانا هذه . وقال ضمن حديثه « المؤسف انه حدثت في هذه الامة خلافات ونشأت فيها فرق تنازعت في قضايا كثيرة ، وكان لا بد لكل جماعة تريد ان تعمل للاسلام من ان تحدد موقفها من تلك القضايا التي اختلف فيها المسلمون وما زالوا يختلفون » .

وركز الدكتور جعفر ادريس على اهداف الحركة الاسلامية الملتزمة بمنهج اهل السنة والجماعة فقال « الاهداف هي : اخراج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، وتعريفهم بمعبودهم الحق حتى تكون عباداتهم له على بصيرة ، وان يكون ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم معلوما للناس واضحا في اذهانهم ، وان يكون التمكين في ارض الله لمن يحملون كلمة الله ويقيمون شرع الله ويُرهبون اعداء الله ، وان تكون كل المؤسسات في الدول الاسلامية مصطبغة بصبغة الاسلام معينة الناس على التمسك به والدعوة اليه » .

وانهى الدكتور ادريس ورقته قائلا « بل حتى الخطأ في بعض المسائل الاصولية لا يتخذ ذريعة للتشنيع على من وقع فيه اذا كان معروفا بالعلم وتحري الالتزام بالسنة » . وقد كانت هذه الورقة من اكثر الاوراق المقدمة اثارة للنقاش والجدل بين الحضور وعلى صفحات الجرائد .

أمّا الورقة الاخرى التي شدت جماهير الحضور في المهرجان فقد كانت مقدمة من الاستاذ احمد الشيباني وكانت تحت عنوان « مكاننا في النظام العالمي الجديد » . ادار الندوة الدكتور هاشم عبده هاشم رئيس تحرير جريدة عكاظ ، واشترك بعض الاساتذة في التعليق



الدكتور سعد مصلوح .

عليها بالاضافة الى تعليقات جمهور الحاضرين .

وتحدث الاستاذ الشيباني عن النظام العالمي الجديد ، وكانت له وجهه نظر تتفق مع باتريك مورغان الذي الف كتابا حول هذا الموضوع ، ويتفق الاثنان على ان النظام العالمي الجديد غير موجود واقعا وفعلا رغم الحديث عنه . وقال « ولذلك فاننا لا نستطيع ان نحدد موقفنا ولا موقعنا في شيء غير موجود واقعا وفعلا . ولا جدال ان النظام العالمي الجديد لن يقوم البتة اذا لم تتوافر له ايديولوجيا جديدة ذات مفهوم انساني جديد وانظمة سياسية واقتصادية واجتماعية واخلاقية جديدة تكرس التعاون الحر بين امم حرة » .

وتساءل في موضع اخر قائلا « هل نستطيع ترتيب العالم على اسس جديدة تتيح للجميع افرادا وشعوبا الحياة على مستوى ادنى من الكرامة ؟ اننا جميعا نعلم انه ليس ثمة دولة واحدة لديها من القوة ما يمكنها من فرض سيطرتها على العالم ولكننا نخشى ان تلجأ بعض الاطراف الى اقامة ما قد يسمى بنظام دولي جديد لا يستند الى القانون ولا الى الدين ، بل يكون غطاء لممارسات استعمارية او فرض هيمنة استغلالية . اننا نعلم ان ما نراه اليوم كما يقول احدهم ليس بنظام ولا بمبادىء وليس له صفة الاستمرارية والدوام ، بل انه شيء مرحلي يتعلق بموازين قوى دولية معينة وبظروف وملابسات تاريخية معينة وهذا كله ليس مما يطلق عليه كلمة نظام » . ثم بعد ذلك عرف ماهية النظام واسسه الثابتة التي يقوم عليها وضوابطه ومؤسساته الراسخة .

وقد اثارت هذه الندوة جدلا كثيرا وسط الحضور وجاءت التعليقات بين مؤيد ومعارض لما طرحه الدكتور الشيباني . وبالاضافة للتعليقات التي قدمها المشاركون كانت هناك بعض المداخلات من الحضور الذين تساءلوا عن ماهية النظام العالمي الجديد وعن ضمير الجماعة في عنوان الندوة ، هل هم العرب ام المسلمون ؟

وكان للجانب الاقتصادي من هذه الورقة اهتمام كبير حيث ان القوة الاقتصادية تشكل محورا اساسيا للحياة القوية ، خاصة وان العرب لديهم تلك القوة وهي النفط . وتحدث الدكتور السيد الشاهد عن النظريات ودور الاسلام في ايجاد الحلول ثم تحدث عن الصراع بين القوي في العالم ، كما قال ان التمسك بالمبادىء الاسلامية يؤدي الى بناء القوة .

وهكذا فإن الحوار على ارض الجنادرية كان له الاثر الكبير في احياء الروح الاسلامية الحقة وتحفيزها ودفعها لان تقوى اكثر . ويبقى ان نطالب بحوارات مماثلة لما يحدث في الجنادرية في كل عام . لكي يصل المثقفون والمفكرون في عالمنا العربي الى الطريق الصحيح في بناء الاسس القوية لصياغة عالم أفضل للاجيال القادمة .

وأختم هذا الموضوع بكلمات للاستاذ محمد رضا نصرالله مدير تحرير جريدة الرياض الذي وصف المهرجان بقوله : « كان مهرجان الجنادرية بحق هامشا ديموقراطيا ليس للادباء والمثقفين السعوديين فحسب ، وانما لكل الادباء والمثقفين العرب . فشكرا للجنادرية ، وكل جنادرية وانتم بخير » □



بقلم : د. زريان أحمد الحاج - البحرين

★ أحلف لك بهذا اليمين الصادق

يدور على الألسنة تذكير اليمين بمعنى القسم ، وهذا الاستعمال غير فصيح . فاليمين للقسم منقول عن يمين الانسان ، وهي ضد يساره ، وذلك أنهم كانوا اذا تحالفوا ضرب كل واحد منهم يمين صاحبه . هذا من جهة ؛ ومن جهة أخرى ، لأن الحالف عادة ما يشير بيمينه الى الشيء المحلوف عليه ، واليمين لليد مؤنثة .

فرد المذكر ، وهو القسم ، الى المؤنث ، وهو اليمين ، غير مقبول ؛ لأنه رد الأصل ، وهو المذكر ، الى الفرع ، وهو المؤنث . أما رد المؤنث الى المذكر فجائز عند العرب وواسع في لغتهم ، لأنه رد الفرع الى الأصل ، كما في قولهم : جاءته كتابي ، على تأويل رسالتي .

وبهذا يتبين أن الصواب هو : أحلف لك بهذه اليمين الصادقة ، وكانت يمينه صادقة .

★ لَبان ، لِبان ، لُبان ، لُبانة

هو الصدر ، بفتح أوله ، وخصصه بعضهم بذي الحافر ، قال عنترة في وصف فرسه :

فازورّ من وقع القنا بلَبانه وشكا إليَّ بعبرةٍ وتحمْحُمِ

وازورّ : مال لكثرة الرماح أو السهام التي علقت بصدره في المعركة .

واللِّبان ، بكسر أوله ، هو الرضاع ، أو لبن الأم خاصة . يقولون : هو أخوه بلبان أمه . قال الأعشى :

رضيعيْ لبان ثدي أمٍّ تقاسما بأسحم داجٍ ، عوض لا نتفرق

وجمعوا بينهما في قولهم : « حملتني على لبانها ، وأرضعتني بلبانها » . ويقولون أيضاً : « هما فرسا رهان ، ورضيعا لِبان » .

وأما اللُّبان ، بالضم ، فهو ضرب من الصمغ والعلك الذي يمضغ ، وهو معروف . وأما اللُّبانة ، بالضم والتأنيث ، فهي الحاجة ، وجمعها لبانات ، قال الشاعر :

خليليّ مرّا بي على أم جندب لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

★ الفؤاد ، القلب

ان العرب وضعت لكل معنى لفظاً لا يقوم مقامه غيره الا مجازاً ، ومن ذلك الفؤاد والقلب . فعند التحقيق نجد هذا غير ذاك ؛ فالقلب هو العضلة المعروفة التي تقوم بضخ الدم الى سائر أجزاء الجسم ، وأما الفؤاد فهو الحيز أو الفراغ الذي يشغله أو يملؤه القلب ، أو هو غشاء القلب . قال تعالى في سورة القصص حكاية عن أم موسى عليه السلام : ﴿ **وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين** ﴾ ـ الآية ١٠ . والمعنى أن قلبها كاد يطير من مكانه لولا أن ثبتناه بالصبر ، وهذا كناية عن شدة جزعها وخوفها على ابنها . وقيل : أن فؤادها أصبح فارغاً الا من ذكر موسى .

★ استراح من عناء التعب

يشيع هذا القول بين الناس . والأولى أن يقال : استراح من عناء العمل ، ووجه ذلك أن العناء هو التعب ، فلا يضاف الشيء الى نفسه ، وانما يضاف الى مصدره ، وهو العمل أو غيره .

ان اضافة اللفظ الى مرادفه كانت مثار جدل بين علماء العربية ، وكذا اضافة الموصوف الى صفته . وقد أجاز الكوفيون اضافة الشيء الى نفسه اذا اختلف اللفظان ، وذهب البصريون الى أنه لا يجوز .

★ الرِّمة ، والرُّمة

الرِّمة ، بكسر الراء ، العظام البالية ، من رمّ يرِمُّ ، بكسر الراء في المضارع ، بَلِيَ ، فهو رميم . قال تعالى على لسان من أنكر البعث بعد البلى : ﴿ **قال من يحيي العظام وهي رميم** ﴾ ـ يس ٧٨ . وقال تعالى : ﴿ **ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم** ﴾ ـ الذاريات ٤٢ .

أما الرُّمة ، بضم الراء ، فهي القطعة البالية من الحبل ، وبها سمي الشاعر ذو الرمة ، واسمه غيلان بن عقبة . ومنه قولهم : دفع اليه الشيء برمته ، أي كله . وأصله أن رجلا دفع الى رجل بعيراً بحبل في عنقه ، فقيل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته .



النموذج الأندلسي لمَنازل قرطبَة



أضواء على التقرير السنوي عن منع الخسائر في أرامكو السعودية لعام ١٩٩١م